حكاوي البلاوي

daralmoltaqa@gmail.com @DarMoltaqaAlmarefa www.daralmoltqa.com

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع

ردمك: 978-977-6682-32-0
رقم الإيداع القانوني: 2020/2444

اسم العمل : حكاوي البلاوي
نوع العمل : مجموعة قصصية
الكاتبة : نادية رشاد عبده
مراجعة وتدقيق: أبو مروان المصري
إخراج فني : أبو مروان المصري
تصميم غلاف : أبو مروان المصري

حقوق الطبع محفوظة لدار ملتقى المعرفة للنشر والتوزيع وأي اقتباس أو إعادةطبع أو نشر في أي صورة كانت ورقية أو إلكترونية أو بأية وسيلة سمعية أو بصرية دون إذن كتابي من الناشر، يعرض صاحبه للمساءلة القانونية.

القاهرة / مصر
جوال: 00201278821670
00201003528058

نادية رشاد

صور هزلية من حياتنا اليومية

حكاوي البلاوي

daralmoltaqa@gmail.com @DarMoltaqaAlmarefa www.daralmoltqa.com

إهداء

أهدى تلك المجموعة الساخرة الى روح أمي الغالية والى روح صديقتي سهام التي طالما نصحتني بنشرها وكم كنت اتمنى ان يعيشا معي تلك اللحظة..

وأهديها أيضا الى زوجي الغالي وأبنائي الأعزاء وإخوتي وأصدقائي الذين امنوا بموهبتي الساخرة..

مقدمة

في حياة كل منا مواقف أغرب من الخيال وشخصيات لو لم نقابلها بأنفسنا ما صدقنا انها موجودة حولنا..

حكاوي البلاوي هي حكاوي نعيشها جميعا كل يوم وكل ساعة، وتصوير ساخر لسلبيات نتمنى أن تختفي من مجتمعنا المصري.. وبرغم أن تلك الحكاوي تمثل همومنا جميعا لكنني حاولت أن أرسم من خلالها بسمة على وجوهنا.. فالمصري دائما ما يضحك على متاعبه طالما لم يستطع حلها

نادية رشاد.. &

فقع مرارة..

ليس من عادتي أبداً الاستعانة بكائنٍ من كان لتنظيف شقتي لأنني أضع كل شيء بنظامي ولى طريقتي الخاصة في ترتيب الشقة؛ ولا أنوي تغييرها.. ولكن للضرورة أحكام..

كنت قد أجريت جراحة لاستئصال المرارة - كأي مواطن مصري صميم - وعدت لبيتي بعد أسبوع لأجده وقد تحول إلى صالة مركز شباب الحبانية بعد نهاية الدورة الرمضانية..

ولما لا وكنت قد تركت زوجي وحيداً ما يزيد على أسبوع..

هل تعلمين ماذا يعني أن تتركي زوجك بمفرده أسبوعاً كاملاً.؟

- يعني كل محتويات الثلاجة فارغة أو تالفة على رخامة المطبخ..
- يعني صينية طعام عن كل يوم غياب تحتوي على بقايا عيش مقدد وعلب تونة فارغة وبذر زيتون جاف..
- يعني علب بيتزا ملقاة خلف الأنتريه وعلب كشري فارغة في البلكونة..
- يعني قشر لب في كل مكان ولا كأنها سينما الشرق بالسيدة زينب بعد عرض فيلم رامبو..
- يعني غسيل في الغسالة وفوق الغسالة وتحت الغسالة..

- يعني زجاجات مياه فارغة موزعة عشوائيا على كل الأنحاء دون تمييز..
- يعني الأثاث مردوم تراب ويكأنى تركت الشقة منذ سنة..
- يعني الحمدالله إني استأصلت المرارة بدلا من انفجارها من تأثير ذلك المشهد البشع..

ولما كان ذلك كذلك إذن فلابد مما ليس منه بُد؛ واضطررت للاتصال بالأخت الرفيقة "أم محمد" زوجة البواب لتتولى مهمة إزالة آثار العدوان عن شقتي:

- آلو.. أيوه يا "أم محمد".. كنت محتاجاكي شوية عندي.! فوق فاضية دلوقتى.؟

"أم محمد":

- خير يا مدام فيه حاجة يعني.؟ أصل ركبى ناقحة عليا ومش قادرة اطلع السلم.. (بداية غير مطمئنة)
- أبداً كنت عايزاكي تيجي تنضفيلي الشقة.. إنتي عارفة لسة عاملة عملية ومش هاقدر أنضفها..
- وماله يا مدام.. بس هاجيب معايا "أم عبده" ضرتى عشان تساعدني وتسترزق برضه بدل ما هي نقرالى في كل حاجة..

- ماشى يا ستى الأمر لله.. بس تطلعوا حالا أحسن حالة الشقة زفت..

وصعدت "أم محمد" وضربها "أم عبده"؛ وهي سيدة خمسينية ملامحها ولغتها وعقليتها تذكرك بالبدو الرُحل الذين لا يعلمون شيئا عن المدنية والتحضر.. ولا غرابة في ذلك فهي التي لم تترك الصعيد منذ مولدها سوى تلك المرة على حظي السعيد.. يعني باختصار جاية تتعلم في شقتي..

قلبت "أم محمد" نظرها في أرجاء المكان وقلبت شفتيها باشمئزاز لتوحي لي بأن الشقة ستحتاج لجهد بالغ.. وكلى نظر طبعا..

- تحت أمرك يا مدام عايزانا نعمل إيه بالضبط.؟ واحنا نعمله على طول.. بس لا مؤاخذة في دي الكلمة إنتي أخدتينا على مشمنا كدة من غير ما نشرب الشاي ونعدل الدماغ..
- ماشى يا ستى خشي المطبخ أعملي لكم كوبايتين شاي..
- هو أنا اعرف حاجة في مطبخكم يا مدام.؟ تعالي كدة وريني مكان الشاي والسكر..

دخلت معها وأنا اسند بطني بيدي متألمة وأشرت إلى مكان الشاي والسكر قائلة:

- الحاجة أهي.. إغلي مية بقا في الكاتيل واعملي الشاي..

ردت "أم محمد" فاغرة فاها في بلاهة:

- في الإيييه.؟ أنا مش بافهم في الحاجات دي يا مدام وأخاف تبوظ منى..

ورغبة منى في اختصار الوقت أخذتها من قصيره وأعددت لهما الشاي بنفسي؛ وجلستا تحتسيانه في استنكار واضح لا أدري لماذا..

لاحظت أن "أم عبده" التي لم تنطق بكلمة واحدة حتى الأن مالت على أذن "أم محمد" وهمست لها بشيء ما فهزت رأسها بتفهم والتفتت لي قائلة:

- لا مؤاخذة يا مدام أصل "أم عبده" مابتشربش الشاي على الريق؛ يعني لو لقمة خفيفة كدة يبقى كتر خيرك أوي..

رددت بنفاذ صبر:

- قومي يا "أم محمد" طلعي حاجة من الثلاجة كلوا وخلاص..

لم أكمل كلمتي إلا ووجدت الاثنتان بداخل الثلاجة؛ وتطورت اللقمة الخفيفة بقدرة قادر لتصبح بلوبيف وتونة وكبدة..

ومالت "أم عبده" مرة أخرى على "أم محمد" التي قالت لي:

- "أم عبده" بتقولك ما تلاقيش عندك حاجة حرشة.. شوية طرشي.. فحل بصل.. أي حاجة تفتح النفس.!

رددت بغيظ:

- لا ما فيش؛ وخلصوني بقا عايزين نخلص قبل ما جوزي يرجع من الشغل.. شهلوا شوية..

أكلوا وشربوا الشاي ووجدتهما جالستان مكانهما في استرخاء غريب..

أصررت على أسناني وغالبت رغبة قوية في ضربهما بمسدس زوجي المرخص وقلت بصوت حاولت إبقاءه هادئا:

- مش ياللا يا جماعة بقا نشوف اللي ورانا..

مالت "أم عبده" على أذن ضرتها للمرة الثالثة فانبرت قائلة:

- لا مؤاخذة يا مدام أصل "أم عبده" بتحب تمدد بعد الأكل شوية ومش معقول ها سيبها وأقوم.. دي ضرتي الكبيرة وتعمللي شغلانة..

وإلى هنا لم أستطع تمالك أعصابي وصرخت بها:

- هو فيه إيه يا "أم محمد".؟ أنتم طالعين عندي تستجموا ولا إيه.؟

ردت "أم محمد" باستنكار:

- لا يا مدام.. يا ندامتي.. نستحمى ده إيه.؟ طب ده أنا لسة مستحميه مولد النبي اللي فات..

شعرت بغرز الجرح تنفك من الغل والغيظ؛ ولكن ما باليد حيلة مضطرة أتحمل تلكما البلوتين..

"أم محمد" وقد شعرت بأن الكيل طفح:

- ما تزعليش يا مدام هنقوم أهو.. ياللا يا "أم عبده" قومي لما أوريكي هتعملى إيه..

قامت "أم عبده" وهي تنظر لي شذرا؛ فاقشعر جسدي خوفا حتى كدت أن أعرض عليها الدخول لغرفتي وأخذ ساعتين قيلولة..

وبدأت "أم محمد" من غرفتي وجلست أمامها على مقعدي وهي ترص في حكايات من هنا وهناك حتى أصابني الصداع وارتفع ضغط دمى من ثرثرتها وعكها..

وانتبهت فجأة إنني لا أرى "أم عبده" فقمت بصعوبة للبحث عنها فوجدتها - اسم النبي حارسها - نائمة في غرفة الأولاد..

رجعت مغتاظة كي أشكوها لضرتها فوجدتها انتهت من تنظيف غرفتي مسافة ذهابي لغرفة أخرى وعودتي..

حدقت بها مشدوهة:

- إنتي لحقتي يا "أم محمد".؟

ردت "أم محمد":

- ما هو يا مدام لازم نشتغل على طول على طول كدة عشان نخلص من الزريبة دي..

صحت بها:

- تخلصي إيه يا ولية.؟ دي الأوضة زى ما هي إنتي هتجننيني.؟ مش كفاية البلوة اللي جايباها معاكي نايمة جوا دي..
- هي نامت.؟ هي. هي. هي.. أحسن خليها مخمودة نوم الظالم عبادة.. دي مطلعة عيني يا مدام والله إمتى بقا تتنيل تروح ع الصعيد.. أصلها فاكراني هنا عايشة في جنة وبأكبش فلوس وأحوش.. حكم بقا أبو محمد مفهمها إن مصر دي إيه.. يغمه ونُغنيغة فجات عشان ينوبها من الحظ جانب إنما بقا أنا...

قاطعتها صارخة:

- باااااااااس.. ارحمي مرارتى اللي شالوها؛ وأمي التعبانة كفاية بقا رغى وخلصيني في الليلة الجاز دي؛ أف.. أف..

ردت ببرود متناهي..

- حلمك علينا شوية يا مدام؛ هي الدنيا طارت.! طب ده أنا أخلص لك الشقة دي هوا..
- أه طبعا ما أنا شوفت بنفسي خلصتى أوضتي في خمس دقايق.. لله الأمر من قبل ومن بعد.. اتفضلي قدامي على أوضة العيال..
- لاااء خللي أوضة العيال الأخر عشان "أم عبده" ما تصحاش أنا لما صدقت انخمدت.. حكم هي طول الليل صاحيالنا ليه بقاااا.؟ عشان فأكره أنها لما تنام....
- باااااااااس خلاص في عرضك بقا إعملي الحتة اللي أنتِ عايزاها وخلصي.. عوض عليا عوض الصابرين يا رب..

"أم محمد" بعد دقائق:

- يا مدام.. يا مدام..
- امممممم.. أفندم.؟!
- والنبي تعالي بس نفضي الحتة اللي فوق دي أحسن ركبتي مطقطقة مش قادرة اطلع ع السلم ومش طايلاها..

- يعني أنا اللي هاقدر وأنا فاتحة بطني.؟
- معلاهش إسندي بطنك كدة بايدك جامد واطلعى واحدة؛ واحدة..

سندت الجرح بيدي مثلما قالت لي الست "أم محمد" وصعدت السلم بصعوبة بالغة ونظفت الجزء المطلوب من السقف.. فجاءني صوتها من أسفل:

- اسم الله عليكي يا أختى.. عيني عليكي باردة.. ما إنتي زي الفل أهو.. بالمرة بقا وإنتي ع السلم خدي الحتة دي ولمعي النجفة يكفيكى شر المرض ووجع الركب..

رددت عليها وأنا اصرخ لا أدري إن كان صراخي غيظاً أم ألماً:

- مش قادرة يا "أم محمد" حرام عليكي الجرح شد عليا..

ردت باشمئناط:

- يا ختي جرح إيه وبتاع إيه.؟ انسي الهم ينساكي وفى الحركة بركة.. دي حتى الرقدة تجيب المرض..

وهكذا يا حضرات.. السقف جر النجف؛ جر فوق الدواليب ونظفت كل هذا بنفسي تحت إشراف الأخت الرفيقة "أم محمد" وانتهيت من تنظيف الريسبشن والحمد لله نال عملي إعجابها الشديد..

ثم حان دور غرفة الأولاد المخمودة بها "أم عبده" وصوت شخيرها يصل إلى برج خليفة في دبي..

هزتها "أم محمد" قائلة:

- "أم عبده".. إنتي يا ولية يا "أم عبده".. قومي بقا كفاية نوم خللي المدام تنضف الأوضة..

قامت "أم عبده" متأففة وهي تتثاءب مثل كلب البحر؛ وبعدما هرشت في رأسها ودعكت في عينيها مالت على أذن "أم محمد" من جديد؛ فقالت الأخيرة بخجل مصطنع:

- ينيلك ولية إنتي لحقتي جوعتي.؟ يادي الكسوف.. لا مؤاخذة يا مدام أصلها عاملة زى العيال لو نامت تصحى جعانة.. معلش والنبي شوفيلها لقمة تاكلها وأبقى خلصت من هم الغدا.. خليكي إنتي مستريحة إنتي لسة قايمة من عملية يا نضرى؛ وأنا هاخش آكل أنا وهي لقمة بسرعة ع بال ما تخلصي الأوضة دي على مهلك كدة.. وزى ما علمتك تسندي بطنك بإيد وتنضفي بإيد.. ياللا ها ورينى الهمة بقا..

سندت بطني بيد ونظفت الغرفة باليد الأخرى وأنا على وشك البكاء ولطم الخدود..

وعاد زوجي من عمله ليجدني أشطب في الغرفة وأنا أضع يدي على بطني وقد ألمني الجرح بشدة وأستند على الجدار في إعياء بالغ.. نظر لي بذعر وصاح في غضب:

- إيه اللي إنتي بتعمليه ده.؟ إنتي اتجننتى.؟ فين "أم محمد".؟
- مع "أم عبده" في المطبخ
- بينضفوه.؟!

- لا بيقشطوه.. خش الحقلك حاجة تتغدى بيها..

دخل زوجي المطبخ والشر في عينيه فوجدهما انتهيا من مرحلة الثلاجة ويجلسان في مرحلة احتساء الشاي..

صرخ بهما في غضب:

- ينفع كدة يا "أم محمد".؟ تبقى قاعدة والمدام بتشتغل وهي تعبانة.! أمال إنتي لازمتك إيه.؟!

ردت "أم محمد" بلا مبالاة:

- يوه يا بيه ما أنا قايمة اهوه.. هي اللي لا مؤاخذة ماعندهاش صبر.. هو الحق عليا يعني إني حركتها عشان

الجرح ما يقفشي.؟ حاجة كدة زى أبصر إيه ده اللي بيقولوا "علية" علاج طبيعي.. هي. هي. هي. هي..

جاءت "أم محمد" للغرفة لتجدني الحمدالله انتهيت وملقاة على الفراش جثة هامدة.. هزتني بيدها قائلة:

- الله.! ما إنتي خلصتى أهو.. أمال سي الأستاذ داخل مشمر بقه علينا ليه.؟ ياللا بقا لا مؤاخذة حاسبينى عشان أنزل الحق اعمل الغدا لأبو محمد.. أنا باخد في الشقة متين جنيه.. بس عشان خاطرك هاخد مية بس وزيهم لـ "أم عبده" بدل ما تبصلي فيها.. أه وعلى فكرة ماعدش فيه أكل في الثلاجة أبقى خللي الأستاذ يجيب حاجة جاهزة بقا تلاقيه يا نضرى راجع من الشغل جعان.. كدة الشقة خلصت مش باقي غير شوية تلميع بعدين بقا لما تريحي اعمليهم على مهلك.. ولو عوزتي أي حاجة أنا في الخدمة.. فوتتك بعافية يا مدام..

وذهبت "أم محمد" ورفيقتها أم عبدة وأنا أصرخ..

- غطوني وصوتواااا...!

تمت

صاحب الإدارة.. بواب العمارة..

عم "فضل الله"..

عم "فضل الله" يا حضرات هو أسوء بواب عمارة قد تقابله في حياتك.. فهو يجمع ما بين عدة صفات تكفي صفة واحدة منها أن تجعلك تكره العمارة بسكانها وتفضل عليها دار المسنين لحضرتك ودور الأيتام للأولاد..

وهذه نبذة مختصرة عن كينونة ذلك الكائن الهلامي ذو الشخصية (بنت التيييييييت)..

عم "فضل الله" راجل صعيدي من جرجا يبلغ من العمر حوالي 55 عاماً؛ متزوج من اثنتين.. أينعم اثنتين..

إحداهما تنجب إناثاً وهذه مقرها الصعيد.. والأخرى لإنجاب الذكور وتلك مقرها معمل التفريخ بغرفته الكائنة ببئر السلم..

وهذا المعمل ينتج طفل ذكر كل عشرة شهور.. تسعة شهور حمل وشهر إعادة تأهيل وصيانة.. وبالرغم من أن زوجة الصعيد هي أم البنات؛ ولكنها تعتبر مركز قوى ولها كل الاحترام والتبجيل؛ فهو يجمع كل دخله الشهري ويسافر ليضعه في حجرها طالبا الرضا والسماح؛ ويترك أم البنين هنا مع نفسها..

وعندما نستيقظ صباحا على صوت صراخها وهو يبرحها ضربا وركلا نعلم أن سبع الفلا وصل وهذه هي مراسم الاستقبال..

في صباح يوم جمعة استيقظت على صوت مألوف جداً - صوت (أم البنين) وهي تصرخ وتسب بكلمات جرجاوية (لغة أهل جرجا) - فعلمت أن المحروس وصل وهي كالعادة تهنئه بسلامة الوصول..

دخلت أجهز طعام الإفطار فدخلت "بوسي" خلفي قائلة:

- ماما.. أنا نفسي أفطر النهاردة طعمية سخنة.. أنا زهقت من الجبنة الرومي والبيض واللانشون بقا..
- ومين يا "بوسي" اللي هيجيب طعمية دلوقتى.؟! النهاردة الجمعة وتلاقى المطعم على بعضه..
- ماليش دعوة بقا أنا عايزة طعمية.. اتصلى بـ "أم محمد" تجبيلنا..
- يا بنتي "أم محمد" دلوقتى بتنضرب مش فاضيالنا..
- يا ماما زمانها اتضربت وخلصت أنا مش سامعة صوت..
- أه والنبي صحيح ده ما فيش صوت خالص.! يالهوي.. ليكون موتها.! نعمل إيه دلوقتى..

- خلاص يا ماما اتصلي بيها؛ ولو كان موتها هاكل جبنة وامرى لله.!

واتصلت بـ "أم محمد" وظللت استمع إلى الكول تون التي تضعها الست هانم أغنية (أصالحك وماله) وبعد عدة مكالمات رد "فضل الله"؛ وسمعت ضحكة "أم محمد" تجلجل وهي تسأله بدلال ومياصة:

- مين يافضلولتى.؟

فتأكدت أن "بوسي" ستفطر جبنة.. وقفلت في هدوء..

وفى صبيحة اليوم التالي هبطت الدرج للذهاب إلى عملي وكان البيه البواب جالسا أمام العمارة ولا أجدع عمدة أمام دواره..

- صباح الخير يا عم "فضل الله".. إيه.! السلم مش ممسوح يعني.؟ أنت مش جاي من امبارح.؟
- يسعد صباحك يا مدام.. اييييه.؟ حامية علينا كدة لييييه.؟ ما فيش حمدالله ع السلامة.! أنا لسة جاي امبارح ما ارتاحتش وكل سنة وإنتي طيبة يا مدام..

نسيت أن أخبركم أن "فضل الله" طوال العام يهئ بأعياد مجهولة لا يعلمها إلا هو..

نهايته.. تركته وذهبت لعملي على أمل أن أجد السلم نظيفا عند عودتي؛ وبالفعل يا سادة عدت فوجدت سلم العمارة المجاورة نظيفا.. أما عمارتنا فكما تركتها صباحا..

- يا عم "فضل الله".. أنت يا عم "فضل الله"..

رد وهو يشطف يده من تنظيف العمارة المجاورة:

- خير يا مدام.؟
- خير إيه.؟ ما مسحتش سلم العمارة ليه.؟

رد ببرود وهو يرشف من كوب الشاي الحبر الذي لا يفارق يده:

- اسكتى يا مدام ع اللي حصللي.. صحيت الصبح بعيد عنك خبط في نافوخى ومش شايف قدامي؛ بس قلت أبداً لازم امسح السلم إلا السكان يخدوا على خاطرهم.. وعنها يا مدام رحت ساحب الخرطوم والممسحة وحطيت ديل جلابيتي لا مؤاخذة في الكلسون وهاتك يا مسح وتنضيف لغاية ما سي عاشور بيه فتح باب شقته وقالي: "بتعمل إيه يا عم "فضل الله".؟"

- عاشور بيه مين.؟
- ده اللواء اللي ساكن في السادس في العمارة اللي جنبنا..

- أنت ها تجنني يا راجل أنت.! مال عاشور ده ومال عمارتنا.؟
- ما هو ده مربط الجحش يا مدام.. ما هو آني ساعتها بس فوقت لنفسي وعرفت إني بمسح سلم العمارة اللي جنبنا هييهييي.. يقطع وجع الرأس وسنينه..
- لا والله.؟! تصدق حكاية مؤثرة أوي.. وادولك كام بقا لما فقت لنفسك.؟!
- هما التلاتين ملطوش بتوع كل مرة لما أتلخبط وامسح سلم عمارتهم.. وكل سنة وإنتي طيبة يا مدام.. هييهييي..

نظرت له بغيظ وصعدت لشقتي وأنا أبرطم لاعنة البرود والباردين.. ودخلت لأجد "بوسي" وبودى جالسين يهمسان على غير العادة فعاجلتهما بالسؤال:

- خير.؟! إيه اللي لم تنتون على تنتن.؟ أشجوني.. بتدبرو لأية.؟

"بوسي": بصراحة كدة يا ماما إحنا عايزين علاوة..

- نعم يا أختى.؟ عايزين إيه.؟

رد المزغود الصغير "بودي":

- أيوه يا ماما عايزين حلاوة..
- ما الحلاوة في الثلاجة يا خويا..

ردت "بوسي":

- حلاوة إيه يا زفت.؟ قصده علاوة يا ماما.. يعني زيادة في المصروف.. مصروفنا ما عادش بيجيب حاجة
- أيوه يا ماما.. ده أنا روحت أنا وأصحابي النهاردة نجيب أيس كريم ودفعنا كل واحد جنيه راح عمو علي البقال فتح واحدة وقاللنا كل واحد ياخد أربع لحسات عشان اللحسة بربع جنيه..

رددت بعصبية:

- أنتم بتاخدوا كل واحد خمسة جنيه في اليوم.. والمدرسة قدام البيت كفاية عليكم أوى كدة..

"بوسي": خمسة جنيه إيه بس يا ماما.؟ ده محمد ابن عم "فضل الله" البواب بياخد 15 جنيه ده غير اللي بيطلعله من سكان العمارة لما بيوصللهم حاجتهم..

- وعرفتي منين يا فاضلة الكبة أنتِي.؟

- هو اللي قال ل "بودي" لما لقاه بيلحس الأربع لحسات أيس ك ريم؛ وقعد بغيظ فيه لحد ما عيط..

صرخت بها وأنا أتميز غيظا:

- طب خدي أخوكي اللي ساحباه وراكي وانجروا على اوضتكم.. هو أنا ناقصاكم انتوا كمان..

دخلت مقصوفة الرقبة وهي بتبرطم:

- هو إيه ده بقا.؟ أنا عارفة بابا ما طلعش بواب ليه.؟ يا فرحتي البيه رايح والبيه جاي واحنا بناخد 5 جنيه..
- بطلي برطمة ياللي تنقرصي وتعالي شوفي مين بيخبط.. منك لله يا "فضل الله" أنت وعيالك..

"بوسي": دي "أم محمد" يا ماما..

أنا: ادخلي يا "أم محمد" إيه مالك بتعيطي ليه.؟

"أم محمد" باكية:

- الراجل الدون الناقص خد الفلوس اللي محوشاها كلها وبعتهم للمخفية في البوسطة.. وأنا لميت هدومى وها خد

العيال وأروح لأهلي في البلد.. وديني مانا قاعداله فيها ويوريني بقا هيصرف منين.؟ إهىء. إهىء

- كدة برضه يا "أم محمد" تسيبنا للراجل اللي مالوش لازمة ده.؟ لما أعوز حاجة أنا ولا العيال بقا مين يجيبهالنا.؟

"أم محمد" بعتاب:

- إبقى خللي اسم النبي حارسها تجيبلك ما هي اسم الله عليها كبرت.. على فكرة أنا كنت عايزة اشتكيلك منها.. بقا يصح تخليني قاعدة بأكل في وسط ناس جاييلنا م البلد وأقولها تعالي كلى تقوم مبحلقالي أوى وتقللي بالنبوتى.؟
- إيه بالنبوتى دي.؟
- أكيد قصدها بالنبوت طبعا..
- يا شيخة أكيد ما تقصدش.. المهم ما تبقيش تطولي الغيبة مع السلامة..

ناديت "بوسي"..

- إنتي يا بنت.. تعالي هنا..

"بوسي" وهي تمد بوزها في غضب:

- أفندم..
- إنتي مالك ومال "أم محمد" بتقوليلها بالنبوت ليه.؟

ردت "بوسي" باستغراب:

- أنا يا ماما.؟ دي هي اللي ما تعرفش فرنساوي.. أصل مسيو عمر بتاع الفرنساوي قاللنا عشان اللغة تثبت في دماغكم حاولوا تتكلموا بيها مع كل اللي حواليكم؛ عشان كدة لما قالتلي تعالي كلى قولتها بونا أبيتي..
- بس هي قالتلي إنك بحلقتلها..
- لا يا ماما أنا كنت مركزة عشان افتكر الكلمة..

- امممممم.. ودي يا فالحة يتقاللها بونا أبيتي.؟! دي ديك النهار كانت بـ تتعشى تحت واتكرعت أبوكِ أتقلب من ع السرير..

وسافرت "أم محمد" ووقع "فضل الله" في حيص بيص بالطبع.. فهي رمانة الميزان والدجاجة التي تبيض له ذهبا..

فهي من تغسل السيارات؛ وتنظف شقق العمارات وتغسل سجاجيد في العيد؛ والأولاد يقومون بخدمة التوصيل للمنازل.. كل هذا وما على الباشا سوى جمع حصيلة تلك الأعمال..

فماذا هو فاعل الأن بدونهم.؟

ولكنه لم يغلب يا حضرات..

كنت عائدة من عملي ذات يومٍ وأنا أتهلل فرحا والسبب ترشيحي لحضور دورة تدريبية في الإسكندرية لمدة عشرة أيام تمهيدا لترقيتي لدرجة مدير عام.. وإذا بي أجد مدخل العمارة يعج بأطفال من كل المقاسات والأعمار وكلهم يصيحون:

- أنا ما خدتش ياعم "فضل الله".. أنا واقف من بدري ياعم..

تنحيت جانبا في ذعر خوفا من أن يدهسوني أثناء خروجهم.. كان البعض خارجا بكيس فشار، والبعض خارجا بكيس غزل البنات والبعض الآخر واقفا ينتظر شيئا أخر لم أتبينه..

انتابتني حالة هيستيرية وصرخت في عم زفت:

- إيه ده يا راجل أنت.؟ أنت فاكر نفسك قدام جنينة الحيوانات.! دي عمارة محترمة.. شيل الزفت اللي أنت حاطه ده من هنا..

وبمنتهى البجاحة والبرود رد:

- الله الله.. جرى إيه يا مدام.؟ حاجة وبنسترزق منها.. ولا أنتم فاكرين الخمسين ملطوش بتوع كل شقة دي

هتعيشنا.؟ يعني وبعدين لا مؤاخذة بقا ما حدش اعترض غير حضرتك.. ده حتى سي الأستاذ جوزك لسة واخد منى كيسين غزل البنات وطالع وما دفعش حقهم ولا مؤاخذة..

تجاهلت جملته الأخيرة وصعدت عازمة على تأنيب زوجي على النزول إلى هذا المستوى..

دخلت الشقة لأجد زوجي الهمام يمصمص في كيس غزل البنات بنهم واستمتاع.. هممت بتعنيفه لكنى تذكرت موضوع سفري وأنني بحاجة للاحتفاظ بمزاجه رائقاً كي أنال موافقته.. خاصة وهي المرة الأولى التي اتركهم فيها بمفردهم..

فاتحت زوجي بالموضوع فانقلبت سحنته وارتفع حاجباه وسألني السؤال المتوقع:

- والعيال يا هانم هتعملى فيهم إيه.؟

أنا بتملق ودلال:

- ما هو أنت الخير والبركة يا حبيبي.. وبعدين "بوسي" معاها المفتاح هتجيب اخوها من المدرسة كل يوم ويستنوك على ما تيجى من الشغل.. وأنا هحضرلكم

كل الأكل اللي بتحبوه في الثلاجة وأهي كلها عشر أيام يفوتوا هوا..

وقد كان.. وسافرت متحمسة حماسا يشوبه القلق لعلمي أن الرجال لا تستر في تلك المواقف.. وانخرطت في دورتي التدريبية والتي كانت تحضرها معي مدام "نوال" رئيستي في العمل..

ولمن لا يعرف مدام "نوال" فهي سيدة مقاسها العرض عرضين.. قوية ومفترية ولا يعجبها أحد.. باختصار قنبلة تسير فوق الأرض ويشاء حظي التعس أن تصاحبني طوال رحلتي.. ويبدو أنني رقت لها على نحو ما فتبسطت في الحديث معي على غير العادة..

كنت أهاتف زوجي والأولاد يوميا كانوا بخير ولكن شيء ما في أسلوب الحوار لم يريحني.. لدرجة أن البت "بوسي" في أخر مكالمة قلت لها:

- ها يا حبيبتي عايزاكى شطوره كدة وست بيت وأجي ألاقي الشقة زى الفل؛ يمكن تيجى معايا ضيفة..

ردت عليا:

- خليها على الله يا مدام.. كله هيبقى لوز بعون الله..

إيه ده.؟! مين دي.؟ معقولة دي بنتي.؟!

المهم فاتت الأيام ورجعت من السفر معايا الست "نوال" رئيستي إياها واللي ما صدقت قولتها اتفضلي معانا فتفضلت على طول.. وكنت طوال الطريق قد أصبتها بالصداع بسيرة "بوسي" و"بودي".. وكيف صرفت دم قلبي على مدارسهم الخاصة لكي يتعلما تعليماً راقياً..

دخلنا مدخل العمارة لنجد أن السيرك منصوب.. عيال طالعه وعيال نازله؛ وعربة الفشار بجوارها عربة غزل البنات.. وفى الواجهة لوحة نيشان وما يلزمها من بنادق رش و...

(فتح عينك تأكل ملبن)..

يادي الفضيحة أم جلاجل؛ والجرسة أم حناجل..

شعرت أنني في نصف ملابسي..

وإذا بالست "نوال" تصرخ بالصوت الحياني فوجهت نظري نحوها فوجدت عيلين "مزاغيد" يلعبون الاستغماية وقد اكتشفوا أن خلفيتها العريضة مكان ممتاز للاختباء وراءها..

لم تكن هذه هي المشكلة.. المشكلة أن "مزغود" ثالث ترك لوحة النيشان وأحب أن ينشن على العيال الذين يختبئون

وراء الست "نوال".. ومن سوء حظها - وحظي بالطبع - أن الولد كان أحول ونشن على..

إحم.. إحم.. أترك لخيالكم تكملة المشهد..

ظللت أهدئ في مدام "نوال" وأحاول إسكاتها لتكف عن الصراخ.. وأخيراً أقنعتها بأعجوبة أن تصعد معي إلى شقتي لتناول الغداء والراحة من وعثاء السفر.. معشمة إياها أنها تواً ستتعرف على أرق وألطف طفلين في الوجود اللي هما "بوسي" و"بودي" طفليّ العزيزان..

أجلستها في الأنتريه ودخلت أنادي على عصفوري الجنة بكل شوق..

وفجأة وجدت "ولية" صغيرة خارجة من المطبخ وهي تضع فوق رأسها صينية عليها ما لذ وطاب من الطعام والشراب ثم هتفت مرحبة:

- يا أهلا وسهلا.. يا ألف مرحب.. ده إحنا زارنا النبي حمدالله ع السلامة يا ماما.. والنبي ومين نبى النبي نبي ليكي وحشة.. مش تعرفينا بست الحاجة..

يا سنة سودة.. دي "بوسي"..

- بت يا "بوسي" إيه اللي إنتي عاملاه في نفسك ده.؟
- اسكتى يا ماما من ساعة ما اشتغلنا مع عم "فضل الله" الله يستره والقاشية بقت معدن ع الأخر.. مش شايفة الخير مالي الشقة إزاي.؟

حملقت بها وأنا لا أصدق عينيّ؛ ولا أذنيّ.. وقطع ذهولي صوت خبط على الباب وأنا واقفة في مكاني لا أقوى على الحركة..

فتحت "بوسي" الباب؛ وإذا بصبي متسخ الوجه يسأل بمنتهى السوقية:

- هي خالتي أم "بودي" هنا..

احتجت إلى بعض الوقت كي استوعب أني أنا خالته أم "بودي".. وسألته وأنا مرعوبة:

- فيه إيه.!! "بودي" جراله حاجة.؟
- يرضيكى يا خالتي أم "بودي" أن الواد ابنك ياكل نص كيس الفشار قبل ما يبيعهولى ويقوللى عشان ما يدلدقش منك.! طب والله لابطحهولك..

التفتت بسرعة تجاه الست "نوال" راجية من الله أن تكون قد أصيبت بالعمى والصمم والبله المغولي على سبيل

الاحتياط حتى لا ترى ولا تسمع أو على الأقل لا تعي ما رأته من فضائح..

ولكن للأسف وجدتها تضع حذائها في قدميها؛ وتعلق حقيبة يدها في كتفها استعداداً للرحيل.. لا لا.. أقصد للهروب من هذا الجنون..

ولم تنس بالطبع أن تترك بعضاً من سجاياها القويمة وهي تغادر الشقة.. فقد أخذت تسب وتلعن كل هؤلاء الموظفين البيئة الذين يريدون أن يصبحوا مدراء عموم.. وهذا لن يحدث أبداً طالما هي على قيد الحياة..

سقطت من فوري فوق أقرب مقعد بعدما ضاع مستقبلي وطارت الترقية لا محالة..

أخذت أبحث بعيني عن المحروس زوجي الهمام الذي تركت له طفلانا لمدة عشرة أيام فحسب لأعود وأجدهما وقد تحولا إلى "تفاهة" و "أم الشحات" في فيلم بلية ودماغه العالية..

نظرت لـ "بوسي" التي كانت واقفة تطرقع في لبانة وسألتها:

- أبوكي فين يا أم الشحات.. يووه.. قصدي يا "بوسي".؟

ردت بتلقائية شديدة:

- هو إنتي ما شوفتيهوش وإنتي طالعة.؟ ما هو اللي كان قاعد على لوحة النيشان تحت..

-

تمت

تأمين صحي..

الحادية عشر ليلاً ذات ليلة قارسة البرودة..

سعادة طاغية وأنا أنسل تحت الأغطية الثقيلة بينما المطر على أشده في الخارج، والأولاد في حجرتهما الدافئة واليوم عطلة، وزوجي مسافر في عمله ولن يأتي قبل أسبوع.. إذن لدي موجبات السعادة كلها.. وبدأت أدندن:

- يا عنيا يا قلبي جرى إيه.؟ الدنيا احلوت كده ليه.؟

قطع انسجامي رنين هاتفي فتمتمت:

- إيه الفصلان ده.؟

يبدو أنه زوجي يسألني ككل ليلة في رومنسيته المعهودة: "اتخمدتي.؟ ولا قاعدة ع المحروق النت.؟!

هممت بالرد وإذا بصرخة تثقب طبلة أذني؛ وأطارت الهاتف من يدي وسقط قلبي في قدمي، وانحنيت لألتقطه - الهاتف طبعاً مش قلبي - وإذا بالمتصل "سلوى" جارتي وهي حامل في طفلها الأول وكانت تصرخ وتولول في ألم:

- الحقينيييي يا نهى هامووووووووت..
- مالك يا "سلوى" فيه إيه.؟

- هامووووووووت.. الظاهر إني بـ أولد.. الحقينيييي بسررررعة.. وجدي مسافر وأنا لوحدي..

هبط كلامها على كالصاعقة.. بتولد.؟ والحقها.؟ وفي مثل هذا الجو وتلك الساعة.؟

ارتديت عباءة فوق منامتي وقفزت صاعدة إلى الدور الأعلى وأنا أكاد أبكي غيظا..

فتحت لي "سلوى" منفوشة الشعر والمخاط يسيل من أنفها من أثر البكاء وهي على صرخة واحدة.. هامووووت.. هامووووت

- يا "سلوى" اهدي يمكن مش ولادة إنتي لسه في السابع..
- هامووووت..
- يا بنتي أصبري وتحملي لغاية ما جوزك يرجع..
- هامووووت..
- طيب ها نعمل إيه دلوقتى.؟

جاءتني إجابتها على هيئة صرخة أوبرالية رائعة:

- اااااه.. اااااه.. وديني بسرعة المستشفى.. الحقيني..
- طيب ها تولدي فين.؟

- أنا موظفة ها ولد فين يعني.؟ مستشفى التأمين الصحي طبعا..
- طيب فين شنطة البيبي.؟
- اااااااااه.. شنطة إيه وزفت اييييه.؟ هاتي بطاقة التأمين..

تمتمت في سخط:

- زفت على نافخوك يا بعيدة.. حبك يعني تولدي في الليلة دي بالذات.؟ يادي البخت الأسود..

وسندتها وهي تصرخ وتتلوى كالقرموط.. وقفت أمام البناية والمطر يهطل وصرخت منادية سيارة أجرة..

- تاكسي.. تاكسي..

وجاء التاكسي..

هممنا بالركوب عندما سألنا السائق:

- على فين بالمشيئة.؟
- مستشفى التأمين الصحي الله يخليك يا أسطى..
- امممممم.. بلا قافية دي مش سكتي..
- واحنا مالنا ومال سكتك.؟ دي سكتنا إحنا أنت مش تاكسجي ولا إيه.؟

- أيوه تاكسجي بس الجو زوحل وأنا عايز أروح لعيالي..
- يا أسطى الله يخليك الست بتولد اكسب فينا ثواب..
- خلاص أوديكم مستشفى في سكتي..
- يا سيدي هي بتولد في مستشفى التأمين الصحي..
- لا لا لا.. تولد أحسن في مستشفى بولاق عشان في سكتي لا مؤاخذة..
- يا بني آدم أنت ها تولدها على مزاجك.؟ حرام عليك ده إحنا ستات ولوحدنا..
- امممممم.. قطعتي قلبي يا مودام خلاص ادخلي وقعديها.. "علي" مهلك.. ربنا يقومهالك بالسلامة..

وبعد تحرك السيارة قال:

- ياااه.. كلامك حكم يا مودام وأنا أصلي بلا قافية حساس حبتين..

رديت وأنا لا أتذكر أي حكم قلتها:

- تشكر يا أسطى أنت باين عليك ابن حلال..
- أمال يا مودام.. حد واخد منها حاجة.؟ يعني مثلا مشوار زي ده أي سواق هيقوللك 150 جنيه.. عالم جشعة ولا مؤاخذة إنما أنا مش هاخد غير 100 بس..

- يا نهار اسود 100 جنيه.؟ ليه.؟ دول محطتين.. هما عشرين جنيه بس..
- عشرين إيه.؟ بقا دي جزاتي برضه.؟ طب لا مؤاخذة بقا اسحبي المقطورة أم شاكمان بايظ دي واتكلوا على الله من هنا.. ده العشرين جنيه دول أجيب بهم برشام للصداع اللي جالي من شخيرها.. قال بتولد قال.. دي مخمودة من ساعة ما ركبت..

وحانت مني التفاتة لسلوي لأجدها تنام قريرة العين مرتاحة الضمير وصوت شخيرها يجلجل في السيارة.. انتبهت على صوت فرملة السائق بشدة.. فرملة قذفت بنا إلى خارج السيارة وصوت سبابه يعلو قائلا:

- روحي يا شيخة إلهي تولدلكم قرد بصديري شبهها.. قال عشرين جنيه قال.. هع..

نغزت "سلوى" في جنبها بغيظ قائلة:

- نمتي يختي وشبعتي نوم.؟

ردت بصرخة جمعت حولنا المارة وتبرع أحدهم بتوصيلنا إلى المستشفى ليبدأ فاصل آخر من التعذيب..

كانت الساعة تقترب من الثانية صباحا واستقبال الطوارئ خاليا تماما إلا من فرد أمن نائم..

نغزت "سلوى" في بطنها حتى تشغل السارينة فهب الرجل من مكانه صارخا:

- في إيه يا ولية أنتي.! بتصرخي كدة ليه فزعتيني..

صرخت فيه بدوري:

- الست بتولد.. عايزين دكتور بسرعة..

نظر لي مستنكرا كأنني طلبت طبيبا في محل كشري؛ وأجابني باشمئزاز:

- دكتور إيه الساعة دي.؟ إنتي عارفة الساعة كام.؟
- هو أنا جاياله البيت يا عم أنت.؟ الست عايزة تولد أروح بيها فين.؟ محطة مصر.؟

ونظرت لسلوي نظرة ذات مغزى؛ فأطلقت السارينة حتى ظهرت أخيراً إحدى ملائكة الرحمة؛ منكوشة الشعر مقلوبة السحنة وصوتها الذي ذكرني بزمارة بائع غزل البنات يجلجل وهي تسأل الرجل:

- إيه الغاغة دي.؟ فيه إيه يا "فوزي".؟
- دي واحدة يا ستي عمالة تُطلُق.. قال إيه عايزة تولد..

الممرضة وهي تسد أذنيها:

- يا مدام سكتي الست دي.. ما يصحش كدة.. هتصحو الدكتور..

صحت بها:

- خبر اسود ومنيل ما إحنا عايزينه يصحى يا ناس.. هي دي مش مستشفى ولا أنا غلطانة.؟

وهنا دوي من أخر الطرقة صوتا مغلفا بالنعاس:

- هو الواحد ما يعرفش ينام في المخروبة دي شوية.؟

كان رجلا محمر العينين، منفوش الأنف.. يتثاءب كفرس النهر ويهرش في رأسه وهو يسال في تبرم:

- إيه الدوشة دي يا سعاد.؟

"سلوى": عايزة الدكتور.. أنا بـ أولد يا عالم

نظر لها في برود قائلا:

- طب ما تقولي كدة وخلاص لازم الصريخ والصويت وشغل الأفلام الأبيض واسود ده.؟

ثم وجه كلامه للممرضة وهو يتثاءب ثانية:

- ارميها ف كشك الولادة على بال ما أطس وشي بشوية مية..
- حاضر يا دكتور

خبطت على صدري في ذهول:

- إيه.؟ دكتور.؟ هو ده الدكتور بتاعكو.؟!

أجابت الممرضة:

- أه دكتور سيد.. ماله.؟ مش عاجبك.؟

رددت بسرعة:

- أبدا.. أبدا والله.. لو ندهتي للواد اللي واقف على عربية الكبدة بره يولدها والله ما حاقولك لا.. خللي الليلة الهباب دي تعدي..

دقائق وظهرت تومرجية مرعبة الشكل شخطت فينا:

- مين فيكم اللي ها تولد.؟

ظهر الرعب على وجه "سلوى" وأشارت لها تجاهي في ذعر..

انبريت مدافعة عن نفسي في رعب:

- والله ما أنا دي هي اللي... حتى بصي على بطنها..

ووسط محاولات "سلوى" للإنكار بشفط بطنها جرتها التومرجية من هدومها وهي تحاول التملص صارخة:

- مش أنا.. مش أنا..

واختفت عن نظري..

ثم ظهرت الممرضة لتدس في كفي ورقة وقلم:

- خدي يا مدام أمضي الإقرار ده..
- وأمضيه أنا ليه.؟ هو أنا اللي بـ أولد.؟
- لا ماهي الوالدة خلاص..
- يا لهوي.. ماتت.؟
- لا لسة.. هي اتبنجت بس

وقعت الإقرار وجلست انتظر وأنا أغالب النوم.. وفجأة قمت مذعورة لأجد قطة تقفز فوقي؛ فأطلقت صرخة مدوية؛ وإذا بي أحمل على ترولي يدفعه تمرجي ضخم الجثة نحو كشك الولادة..

صرخت محاولة القفز من فوق الترولي:

- إيه يا بغل أنت.! موديني فين.؟!

رد البغل:

- اهدي يا ست.. ربنا هيجيب لك ساعة سهلة أن شاء الله..
- أنت يا بني أدم.. أنا مش باولد.. أنت بتعمل إيه.؟!
- هما قالولي أن فيه حالة ولادة برة وما فيش برة غيرك وكنتي بتصوتي يبقي أنتي أكيد الحالة.. اسكتي بقا وخلينا نشوف شغلنا..
- يادي الليلة الهباب.. يا سيدي عليا الطلاق ما أناااا..
- هو أنتي ها تعرفي اكتر من الدكتور.! أنا عبد المأمور يا ست ما تإذييينيش..

أنقذتني الممرضة التي ظهرت ناهرة إياه:

- حالة الولادة في أوضة العمليات يا مسطول..

قفزت أرضا محاولة تمالك أعصابي؛ وبعد نصف ساعة فتح باب غرفة العمليات لتطل منه تومرجية سائلة:

- مين اللي مع "سلوى".؟

سألتها بلهفة:

- أنا اللي معاها.. طمنيني هي ولدت.؟

- أه ولدت بالسلامة وعايزين هدوم العيلة..

رددت متلعثمة:

- هدوم.! بس أنا مش معايا هدوم..
- يعني إيه.؟ أحطلك المولودة في قرطاس.؟

ثم أردفت بخبث:

- هاتي الشال الحلو اللي عليكي.. ده البت ها تموت م البرد..

وجذبت الشال من على كتفي بعنف ودخلت؛ وبعد هنيهة خرجت بملاءة ملفوفة في يدها وقالت بابتسامة لزجة:

- سمي يا حبيبتي.. ألف مبروك تتربي في عزكم..

سميت بالله وأخذت اللفة من يدها.. وفجأة غامت الدنيا وقل الأوكسجين فرفعت راسي لأجد خمسة عشر زوجا من العيون يحملقون بي هاتفين في نفس واحد:

- عايزين الحلاوة..

استأذنت إحداهن أن تمسك اللفة على ما اطلع الفلوس قالت لي:

- لا يا حبيبتي خليها معاكي هاتي الشنطة واحنا ها نتصرف

وفي تلك اللحظة شعرت بحركة غريبة في اللفة التي أحملها وصدر منها صوتا رفيعا كالمواء ثم قفزت في وجهي قطة بلدي لا باس بها وتعالت صرخاتي المذعورة ووجدتني أحدث نفسي غير مصدقة..

- يا حزن الحزن.. ما داهية لتكون دعوة السواق تحققت ومن لطف ربنا بينا جابت قطة بدل قرد بصديري..

صرخت في التومرجية:

- إيه دي.؟

ردت مقهقهه:

- ينيلك يا "بوسي".. مش ها تبطلي الحركات دي.؟
- "بوسي" مين يا ولية أنتي.؟ فين المولودة.؟
- "بوسي" القطة.. دي متربية عندنا في أوضة العمليات من أيام المرحومة أمها مشمشة.. ودايما تستخبي في أي لفة هيء.. هيء.. هيء..

- هيء.. هيء.. هيء.؟! إنتي بتضحكي.؟! المولودة.؟ انطقي..

نظرت إليّ نظرة مش ولا بد وهي تقول:

- مالك يا أختي مشمرة بوقك علينا كدة ليه.؟! ها نجيبهالك.. إحنا ها نأكلها.؟

ثم أخذت تنادي:

- يا أم راااامي.. إدلعدي يا أم راااامي.. بصيلنا في كومة الملايات اللي عندك دي شوفي كدة فيها عيلة صغيرة.؟

جاءت أم "رامي" حاملة مولودة صغيرة ولفاها في قطعة ملاءة وقالت للتومرجية:

- خدي.. نفضت الكومة اللي جوا وقعت منها دي.. هي دي اللي بتدوري عليها.؟

وجذبت البنت من يدها وأنا أصرخ بهم ودموعي تسيل:

- يا عالم يا مفترية انتوا ما عندكوش رحمة.؟ منكم لله يا بعدا..

واحتضنت المسكينة التي بعثرت كرامتها في أول ساعة لها في الدنيا.. ودقائق وجاءتني نفس المرأة:

- إنتي يا مدام.. عايزين هدوم الست اللي جوا أحسن دي نشفت م البرد..

وقعت في حيص بيص.. اجبلها إيه.؟ ما صدقت أتصرف في حاجة للبنت..

(مش ملاحظين حاجة.؟ البنت طالعالى ملفوفة بملاية ولا أجدع فتاة ليل.. أمال فين الشال.؟)

وقطع تفكيري صوت التومرجية:

- يا مدام اتصرفي.. الست ها يجيلها حمي النفاس.. أقولك.؟ هاتي العباية اللي عليكي دي إنتي مش لابسة حاجة تحتها.؟
- لابسة ترينج بس..
- خلاص يختي كفاية اللي بتقولي عليه ده..

وجذبت العباية من فوقي وتركتني ارتجف كالفأر المبلول.. وعدت احتضن الرضيعة حتى هلت عليّ الممرضة الأولي وهي تشخط:

- تعالي شيلي الوالدة نوديها أوضتها أحسن الترولي اتكسر..

حملقت بها:

- نعم.؟ أنا اللي ها شيل معاكم.؟
- أمال نعمل لك إيه يعني.؟ خلاص إنتي حرة.. خليها جوة بقا لغاية ما تفوق وتقوم تروح أوضتها..

وقفت شاعرة بحالة من الإعياء وهنا سمعت صوت أذان الفجر فانفجرت الدموع من عيني ووجدتني ابتهل إلى الله أن ينتهي هذا الكابوس على خير..

وكأن السماء استجابت لي عندما وجدت زوج "سلوى" قادما تجاهي بلهفة ويبدو أنها اتصلت به قبلي.. وعندما اقترب نظر لي في استغراب شديد:

فتذكرت أنني أقف بالمنامة كـ القرا قوز..

سلمته ابنته دون أن أنبس بحرف ثم أشرت إلى غرفة العمليات.. وجررت قدمي خارجة من هذا الجحيم..

وعلى بُعد رأيت التومرجية مغادرة وهي تتبختر بعباءتي وشالي ولم يكن بي قوة للحاق بها فوجدتني أضحك بمرارة..

ألقيت بجسدي في أول سيارة أجرة متحملة نظرات السائق المرتابة.. وأخيراً وصلت البناية وأنا أشكر الله أن زوجي غير موجود..

فتحت الباب وأنا في حالة يرثي لها مبتلة حتى النخاع وبملابس البيت وحالتي كرب.. وإذا بزوجي في وجهي..

أظلمت الدنيا في عيني وآخر ما سمعته قبل أن أسقط أرضا صوته الغاضب وهو يقول:

- حمدالله ع السلامة يا حلوة يا بلحة يا مقمعة..

-

تمت..

دنيا الميكروباص..

ارتفع صوت سائق الميكروباص في الموقف مناديا:

- اثنين معصرة.. معصرة حلوان معصرة..

راكبة سمينة:

- المعصرة يا أسطى أن شاء الله.؟

السائق يقيس أبعادها بعينيه:

- أيوه يا أبلة اركبي.. خلاص يا جدعان كده نتكل على الله بالمشيئة.؟

الراكبة السمينة:

- لسه ناقص نفر جنبي هنا يا أسطى..

أجابها السائق:

- لا ما هو إنتي ها تدفعي نفرين ولا مؤاخذة.؟
- نعمممم.. ليه بقا إن شاء الله.! فيردة ولا فيردة.؟
- لا يا أبلة مش فيردة.. بس أنا ذنبي إيه أفضل طول اليوم واقف وغيرى عمل دورين تلاتة وأنا مستني نفر يرضى يقعد على حجرك ولا مؤاخذة..

- ما الدنيا واسعة جنبي أهي.. شوفلنا نفر سوفيف حبتين يقعد ونساع بعض وخلاص.. وأهي كلها ربع ساعة ونوصل..

رد عليها السائق بغيظ:

- يا أبلة دي الحتة اللي باقية منك سايعة أكرة الباب بالعافية.. دي مصيبة إيه دي.. والله بقا مش عاجبك انزلي شوفيلك طفطف اركبيه ورحرحي فيه براحتك.. خلصينا بقا عايزين نشوف أكل عيشنا..

تكلم كل الركاب في صوت واحد:

- خلاص بقا يا مدام اتأخرنا على أشغالنا.. خلاص يا أسطى هنقسم أجرة النفر اللي ناقص علينا كلنا اتكل على الله بقا ربنا يستر طريقك..

بعد تحرك الميكروباص صاح بنا السائق:

- الأجرة أن شاء الله تلاتة جنيه يا إخواننا.. نص الخط أخر الخط كله زى بعضه.. استبينا.؟

راكب 1: ليه كده يا أسطى ما أنا راكبها امبارح باتنين جنيه.؟

السواق: امبارح كان الاثنين باتنين والنهاردة التلات بتلاته.. هههههه..

راكب 1: أنت بتهزر يا أسطى.؟ ما تتكلم عدل أمال..

- أتكلم عدل انت يا عمونا باقولك دي أجرتشى عاجبك. عاجبك مش عاجبك شد حواجبك من غير مؤاخذة هههههه
- أنت راجل قليل الذوق نزلن.....

وقبل أن تكتمل جملته ارتفع صوت فرملة عالية انتقل على أثرها الرجل بقدرة قادر من أخر مقعد إلى خارج الميكروباص راشقا في الطين زرع بصل..

السائق وهو يغنى:

- هههههه.. ما شربتش من طينها.؟ طب جربت تصبنها.؟ هاااه فيه حد تاني معترض عايز يتزرع جنب زميله.؟

الركاب بخوف:

- اتكل على الله يا أسطى خلينا نشوف اللي ورانا..

السائق محدثا الفتاة الجالسة خلفه:

- رجليكِ والكرسي يا أبلة.. إنتي ما بتعرفيش تقري ولا إيه.؟ مش شايفة كتابلك إيه ع الضهر.؟ ما تسندنيش مش طالباكي خالص..

الراكبة بتعجب:

- ومين قال إني ساندة.؟! أنا مش لاقيه حتة تاني أحط فيها رجلي..

رد ببرود:

- مش مشكلتي بلا قافية أنا لسه مجدد الكراسي ودافع فيها دم قلبي.. شيلي رجلك يا عروسة..
- الله.. أما أنت غريب أوى.. أوديها فين يعني.؟
- وأنا مالي.. إنشالله تسيبيها ف بيتكم..

راكب عجوز يلتقط نفسه بصعوبة وهو يحاول فتح النافذة التي بجواره:

- ما تشيلي رجلك يا بنتي وخللي المشوار ده يعدي.. حرام عليكم روحي ها تطلع من الحر.. يا أسطى.. هو الشباك اللي جنبي ده ما بيتفتحش.؟

السائق بغضب:

- إيدك والشباك يابا.. بالراحة عليه.. الإزاز يطق وساعتها مش هقولك ها اعمل إيه.؟
- يا بني أنا عندي القلب والخنقة دي ها تموتني.. يعني الإزاز ولا روح بني ادم.؟
- لا الإزاز طبعا.. ده مكلفني 400 جنيه إنما أنت لو فيصت لا مؤاخذة هيبقى قضاء وقدر مش هادفع فيك شلن.. وبعدين الأعمار بيد الله يا والدي أنت مش مؤمن ولا إيه.؟ انزل بقا من على وداني ما تبقاش نداب زي مراتي..

خاف الرجل وصمت وهو يتمتم بالشهادتين؛ والأنسة التي لم تجد مكانا تضع فيه قدمها جلست القرفصاء على مقعدها وسلم الجميع أمرهم إلى الله تفاديا للسان ذلك السائق الوقح..

خيم الصمت على السيارة وإذا بمطب محترم يأكله السائق.. فارتطمت رؤوس الجميع بالسقف ووجد كل منهم نفسه جالسا مكان الأخر.. في حين ارتفع صوت امرأة في المقعد الأخير تصرخ بألم:

- الحقنى يا عبده.. الحقنى يا عبده..

هب عبده في السائف قائلا:

- أنت يا جدع أنت مش تفتح لمطباتك وتمشى على مهلك.؟ المدام حامل في التاسع حرام عليك..

السائق بوقاحة:

- ربنا ينتعهالك بالسلامة يا حضرة.. اصطبر عليا بس لما نعدى على أي قهوة انزل أجبلها شوية مية سخنة.. حاضر هبعبع..

الراكب يشتاط غضبا:

- ما تتلم يا جدع أنت هو أنا أجرمت أما قولتك سوق على مهلك.؟ مش أرواح دي ومسئولة منك.؟!

فرمل السائق بغيظ فرملة أعادت المدام للشهر التالت وأعادت كل راكب مكانه الأصلي.. ونزل ليشد عبده من ياقته وزوجته تتعلق بذراعه مواصلة الصراخ..

السائق والشرر يتطاير من عينيه:

- بلا أرواح بلا أشباح يا عمونا.. اسحب ولا مؤاخذة المدام والعيل وخدلها أوبر يوصلها لغاية كشك الولادة.. وما

تنساناش في السبوع.. ياللا يا حلو الملامح ياللا يا ختي ربنا يجبلك ساعة سهلة بعيد عن عربيتشى.. هو أنا اصطبحت بوش مين النهاردة يلعن.. يحرق.....

والتفت للركاب صائحا بلهجة ألجمتهم:

- هاااه حد تاني عايزنى أولده قبل ما نطلع.؟

شفطت راكبة حامل بطنها من الخوف وانكتم الباقين مؤثرين السلامة.. وواصل البلطجي الطريق وهو يبرطم:

- بتتنكوا كده على نيلة إيه.؟ دول تلاته جنيه عمي جاتكوا البلاوي ف أيامكم.. هو إيه يا أخويا ده.؟ إيه اللي عايز يفتح الشباك؛ واللي عايزة تدلدل رجليها؛ واللي جاي يولد مرآته.. دي مصيبة إيه دي.؟ مش كفاية بقالي نص ساعة ماشى ولا حد قالي على جنب يا أسطى ولا نزلني يا أسطى كله متبت في الكرسي زى ما يكون في قايمة أمه يا خي أسفوخس على دي زباين..

ولاحت من بعيد ملامح لجنة واقفة على الطريق فظهر التوتر على وجه السائق الذي التفت بسرعة إلى الوراء وسأل السيدة الجالسة خلفه بصوت خفيض:

- بقولك إيه يا أبله.. الواد اللي على حجرك ده لسه صغير وطبعا مش ناوية تخاويه دلوقتى.؟ كوتيكوتيكوتي يختي كميل عين امه..

حملقت به المرأة في بله غير فاهمة وهو يداعب الولد بيد ويقود السيارة ببطء بيده الأخرى.. وفجأة حملق بها وسألها:

- ما ألقاش معاكي حباية من بتوع تنظيم الأسرة ولا مؤاخذة.؟

اتسعت عينا المرأة وردت مذهولة:

- أنت اتجننت يا جدع أنت.؟ إيه قلة الأدب دي.؟

السائق بتوتر بالغ:

- إخلصي ما فيش وقت.. إحنا داخلين ع الظابط.. معاكي ولا مش معاكي.؟

ومدت المرأة يدها المرتعشة إلى حقيبتها وأخرجت شريطا به عدة أقراص وهي تكاد يغشى عليها من الخوف والخجل..

ابتلع السائق أحد الأقراص بسرعة ثم أتبع ذلك بخطف البيرونة من فم ابنها ونزع الغطاء وأفرغها في فمه وسط ذهول الجميع ثم أعادها للرضيع المفحوم من البكاء وهو يقول:

- معلش يا حمادة.. بوق صغير لعمو ربنا مايرميك في لجنة..

غاص الركاب في مقاعدهم خوفا ظنا منهم أن السائق فقد عقله وأصيب بلوثة مفاجئة.. وما كاد يهدئ من سرعة السيارة المقتربة من اللجنة حتى قفز الجميع هربا..

ودخل السائق على اللجنة فنظر الضابط إلى وجهه وعيناه الزائغتين ثم أعطى له كوبا بلاستيكيا صغيرا خاصا بتحليل المخدرات أمره بقرف:

- خد يااض هات عينة بول في الكباية دي..

السائق باستعباط:

- ولا مؤاخذة يا باشا أنا لسه فاكك ميه تحت الكوبري اللي فات ده ومش هالاقى ولا نقطة ولا مؤاخذة..

الظابط وهو ممسكا به من قفاه ورجه بعنف:

- خلص بروح أمك رج نفسك لغاية ما تلاقى يا حبيبي..

ومن كثرة رج الضابط قشط السائق اللبن الذي طفحه من الولد الصغير وعندها فهم الضابط الحيلة المتعارف عليها بين

السائقين.. ابتسم الضابط ابتسامة ذات مغزى وسأله ساخرا:

- وجيبت منين حبوب منع الحمل يا خفيف.؟ من أمك ولا إيه.؟

قديمة الحركة دي.. اللي قالك إن أقراص منع الحمل مع اللبن بتفسد اختبار المخدرات ما قالكش أنك لازم تستمر أسبوعين يا برنس.؟ ياللا يااض فوت قدامي ده أنت هتتنفخ لحد لما أولدك حتى لو واخد حبوب منع الحمل..

-

تمت..

جارتي السلفنجية..

(الجارة السلفنجية) أي التي تتبع السلف في كل أمور حياتها.. لا لا تسيئوا فهمي.. أقصد أنها تستلف كل حاجة من جارتها وبصورة مبالغا فيها إلى درجة أنها قد تستلف منك زوجك ليذهب معها فرح بنت خالتها كي لا تعود ليلا وحدها.. فزوجها مسافر والجيران لبعضها..

مدام "سوسن" انتقلت إلى مسكننا جديدا وهي فرحة ومستبشرة خيرا؛ ولم تكن المسكينة تعلم بأن لها جارة حلقت في سماء السلف حتى بلغت الأفاق..

وتبدأ الحكاية منذ اليوم الأول لـ "سوسن" في العمارة..

ويبدأ المشهد كالتالي:

"سوسن" لابنتها:

- شوفي مين ع الباب يا نور..
- حاضر يا ماما.. تعالي يا ماما كلمى..

حدقت الأم في تلك المقروضة الواقفة بالباب وعيناها الصغيرتان تجولان بأرجاء الشقة في تبجح..

سألتها "سوسن":

- أيوه يا حبيبتي إنتي مين.؟
- أنا "نوسة" يا طنط بنت أم "نوسة" اللي ساكنين فوقيكم..
- اااااه.. أهلا يا حبيبتي.. أي خدمة.؟
- ماما بتسلم على حضرتك وبتقولك نورتي العمارة..
- شكرا يا حبيبتي.. اشكريلى ماما كتير..

وحاولت إنهاء المقابلة بسرعة فورائها كم هائل من أعمال فرش الشقة وخلافه.. ولكنها كانت واهمة..

فقد عاجلتها "نوسة" قائلة:

- ماما بتقول لحضرتك أي كراتين تفضي من حاجتك الجديدة يا ريت ما ترميهاش عشان بنحتاجها..

حملقت في وجه الفتاة متعجبة وقالت:

- نعم.؟!
- زى ما حضرتك سمعتي يا طنط..

قالت ذلك وجرت صاعدة لامها..

وقفت "سوسن" متعجبة من تلك الجرأة الغريبة ثم دخلت تكمل فرش الشقة وهي تنوي إعطائهم الكراتين وهي تقول لنفسها:

- وأنا يعني هاعمل بيها إيه يعني.!

دقائق ودق جرس الباب فتحت لتجد نفس الفتاة..

- ماما بتقول لحضرتك فيه في حاجتك حاجات بتتكسر.؟!

ردت "سوسن" بذهول:

- نعم.!!
- يعني لو فيه حاجات بتتكسر أكيد حضرتك ناقلاها في وسط البتاع البلاستيك اللي بيفرقع ده.. هو صحيح اسمه إيه يا طنط.؟

"سوسن" بنفاذ صبر:

- ماله يعني.؟
- ماما بتقول لحضرتك حوشيهولها عشان بتحب تتسلى بيه وتطلع فيه غيظها من بابا..
- ماشى.. حاجة تاني..
- مش عارفة.. هبقى أسأل ماما..

ضربت "سوسن" كفا بكف متمتمة:

- ده باينه هيبقى مرار طافح والبداية ما تطمنش..

ومر اليوم بسلام وانتهت من فرش الشقة بالكامل.. وبعد يومين إذا بجرس الباب يدق فتحت لتجد البنت إياها فحدثت نفسها بغل:

- هو فيه إيه يا إخواننا.. هي العمارة ما فيهاش إلا المزغودة دي وأمها ولا إيه.؟
- صباح الخير يا طنط..
- صباح النور يا روح طنط..
- ماما بتسال هو حضرتك بترجعى من الشغل إمتى.؟
- ليه يا حبيبة طانتك.؟!
- عشان لو عوزنا حاجة ما ننزلش ع الفاضي

"سوسن" بغيظ:

- هو إنتي يا ماما ما بتروحيش مدرسة.؟
- لا بأروح يا طنط بس بعد الضهر..

تنفست المرأة الصعداء وهي تحمد الله.. فبهذا الشكل ستكون الأوردرات في فترة النهار فقط وهي في العمل إذن فالخطر زال أو اقتصر على أيام العطلات الرسمية فقط..

عاجلتها "نوسة" وكأنها قرأت أفكارها:

- أما نعوز حاجة بعد الضهر أخويا هينزل لحضرتك عشان هو مدرسته الصبح..

"سوسن" بذهول: "يا واقعة سودة.! دول عاملين شيفتات.!!"

وهذه كانت البداية واستمر الحال على هذا المنوال.. البنت صباحا والولد ظهراً حتى تسربت نصف أشياء "سوسن" إلى شقة جارتها العلوية..

والغريب في الأمر أنها إلى الأن لم تر هذا الكائن الخرافي.. (أمهم).. إلى أن قررت سؤال البنت أثناء ممارسة إحدى مهامها السلفية عندها:

- قوليلى يا "نوسة"..

البنت باستظراف:

- يا "نوسة".. هاهاهاها..

(يا تلامة أمك)

- حبيبتي هي ماما مش بتظهر خالص ليه.؟ هي هتظهر في أخر حلقة.؟ هاهاهاها.. (ظرف بظرف بقا)

- لا يا طانط أصل ماما مسافرة بقالها أسبوعين في البلد عشان تيته ماتت.. يا حبيبتي يا تيته.. إهىء. إهىء. إهىء.. وانطلقت في نوبة من البكاء والعويل و"سوسن" تنظر لها في ذهول:
- مسافرة.؟ وأمها ماتت.؟ يا لهوى.! آمال لو هنا كانت عملت إيه.؟

أكملت البنت:

- هي بتقولنا في التليفون نطلب إيه على ما تيجى..
- يا ختيييي.. على الله ما تيجي..
- إيه.؟ بتقولي حاجة يا طانط.؟
- لا أبدا يا حبيبتي.. باقول تجيلكم بالسلامة..

وأخيرا جاء ذلك اليوم وقابلت "سوسن" المسكينة تلك الشخصية الأسطورية.. كانت يومها عائدة من عملها عندما وجدتها تنتظرها أمام باب الشقة.. عرفتها على الفور فسيماهم على وجوههم..

منحتها ابتسامة لزجة ذكرتها بالمقروصة بنتها "نوسة" ثم سألتها بعشم زائد:

- إتاخرتي كدة ليه يا ست أم نور.؟ ده أنا واقفة أديلى نص ساعة مستنياكي..

نظرت لها "سوسن" باستغراب فعاجلتها معرفة نفسها:

- - أنا أم "نوسة" جارتك اللي فوق كنت مسافرة وجيت من شوية.. معلش يا حبيبتي إوعي يكون العيال العفاريت ولادي قلبوا دماغك وزهقوكي من طلباتهم.. والنبي ما اعرف العيال جابيين الخصلة السودة دي منين.؟
- لا أبدا يا ستى ما فيش حاجة حمدالله ع السلامة..

ثم أعطت لها ظهرها وهي تفتح الباب بالمفاتيح؛ وفتحت الباب واستدارت كي تستأذنها لإنهاء تلك المقابلة ولكنها لم تجدها يبدو أنها فهمت من أسلوبها أنها غير مرحب بها..

تنفست "سوسن" بعمق وهي تحمد الله.. وما أن أغلقت الباب حتى قفزت إلى الخلف فزعة عندما سمعت صوت أم "نوسة" قادما من المطبخ..

- يووووه.. جاتك إيه يا "نوسة".. الشقة زى ما وصفتهالى بالظبط.. هههههههههههه.. لا مؤاخذة يا ختى أصلى كنت عايزة إزازة زيت واتكسفت أقولك وإنتي لسة راجعة تعبانة

من الشغل قولت اخش أجيبها بنفسي ما هو الواحد لازم يبقى حسيس برضه..

***

ومرت الأيام على هذا الحال.. فتارة تستلف طقم أكواب عصير للضيوف، وتارة طقم انتريه؛ وتارة طقم أسنان والدتها تأكل به لأنها خالعة ضرسها..

كل هذا و"سوسن" صابرة محتسبة وتحمد ربها أن زوجها مسافراً في عمله ولا أحرقها هي وأم "نوسة" و"نوسة"..

إلى أن كان يوم أغبرا دق فيه جرس الباب..

فتحت "سوسن" الباب لتجد باباً أخراً على هيئة شحط يقف متثائباً فاغراً فاه مثل فرس النهر.. نظرت له بذعر وسألته بصوت مرتعش:

- أفندم.. عايز مين حضرتك.؟

وقبل أن يرد الرجل ردت أم "نوسة" من أعلى السلم:

- معلش يا ست أم نور هنتقل عليكي شوية.. أصل ولاد عمى طبوا عليا من البلد.. وأنتي عارفة شقتي صغيرة

والسرايرع القد.. قولت بدل ما استلف سرير من عندك وفك وتركيب أبعتلك واحد منهم يبات عندك وخلاص..

وهنا لم تتمالك "سوسن" أعصابها أكثر من ذلك وصرخت بها وهي تحاول دفع البغل الذي يهم بالدخول لينام..

- إنتي اتجننت يا ولية إنتي.؟ إنتي عايزة تجيبيلى مصيبة.؟ مش عارفة أن جوزي مسافر.! راجل إيه اللي هيبات عندي ده.؟
- والنبي يا أختى ما هتحسي بيه ده نفسه هادى وسنه ضاحك..

قال لها الرجل وهو ينحها عن الباب ويتثاءب:

- طب وسعيلى كدة يا أبله عشان أخش أنام وابقوا إتخانقوا براحتكم بعدين.. حكم أنا صاحي م الفجر..

وعاد ليتثاءب فاغرا فمه عن آخره مذكرا إياها بالجحش المفطوم جديد..

جن جنون "سوسن" وصرخت به وبها مهددة إياهما بالاتصال بالنجدة فردت أم "نوسة" باستنكار:

- خلاص.. خلاص اطلع يا "فوزي" هنتصرف.. ده إيه الجيران السوو دي.؟ هو الدنيا ما فيهاش خير.؟

صفقت "سوسن" الباب خلفه وهي تكاد تجن من تلك الوقاحة والصفاقة التي لم تر مثلها في حياتها؛ وهمت بالذهاب لفراشها عندما سمعت جرس الباب ففتحت بعنف عازمة على ارتكاب جناية في هذا البغل اللزج؛ وإذا بها تجد فتاتين واقفتين تبتسمان في سماجة..

همت بسؤالهما عن كينونتهما وإذا بصوت أم زفتة من أعلى:

- دول "سلوى" و"ليلى" ولاد "فوزي".. أظن دي بقا ما فيهاش حاجة لما يباتوا عندك.. أديني فكيتلك الراجل ببنتين حسب الشرع..

انهارت "سوسن" جالسة على الأرض والدموع تكاد تطفر من عينيها وهي تتضرع إلى الله..

- لله الأمر من قبل ومن بعد.. صبرني يا رب..

أدخلت الفتاتين غرفتها ليناما مواسية نفسها بأنها ليلة سوداء وسوف تمر..

نامت هي في غرفة الأولاد واستيقظت مبكرا لتسمع صوت ضوضاء في المطبخ ونظرت لتجد "سلوى" تخرج كيس لحم من الفريزر لتسلقه كي تفطر به..

لم تعلق فهي لم تعد تتعجب من أي شيء يصدر عن تلك العائلة الشيطانية.. سألتها عن أختها "ليلى" فأجابت:

- أنا سايباها من ساعة بتقيس في هدومك جوا..

دخلت لتجد غرفتها رأسا على عقب؛ ومن وسط الحطام لاحظت مهرجاً من مهرجي السيرك قابعا أمام المرأة..

دققت النظر لتجدها "ليلى" وهي ترتدى فستان زفافها القديم وتضع على وجهها كافة المساحيق الموضوعة على التسريحة.. صرخت بعلو صوتها:

- إيه اللي إنتي عاملاه في الأوضة وف وشك ده.؟ مالك ومال حاجتي.؟ اسمعى يا بلوة الزمان إنتي.. أنا نازلة الشغل مش عايزة آجي ألاقى حد هنا.. فاهمة.؟ وإلا ها روح فيكم في مصيبة من أولكم لآخركم وخصوصاً زعيمتكم اللي فوق دي.. اتفضلي نضفى الزريبة دي..

ردت البنت بكل بجاحة:

- "سلوى" تطلع إنما أنا هنام شوية.. طول الليل بقيس في هدومك وما نمتش..

ذهبت "سوسن" للعمل وهي تستشيط غضبا وغيظا وتهب صارخة في وجه كل من يقابلها.. وعند الظهر أحست بالقلق وبالفأر يلعب في عبها فقررت الرجوع لمنزلها كي ترى ما يحدث في غيابها..

فتحت الباب ببطء وما أن خطت بداخل الشقة حتى صك سمعها صوت ضحكات عالية؛ وصوت قهقهة زوجها..

هرولت إلى الداخل لتجده في المطبخ منشكحاً على آخره وهو منسجم في الحديث المرح مع مقصوفة الرقبة "ليلى"..

ارتفع صوتها مولولة لاعنة اليوم الذي انتقلت فيه إلى هذا المنزل الملعون؛ وما أن لمحها زوجها حتى نظر إليها مبتسما وقائلا:

- إنتي جيتي يا روحي.؟ أنا قولت أعملك مفاجأة وأجي على غفلة.. ظريفة أوى ضيفتك دي..

صرخت "سوسن" في وجهه جاذبة إياه من ياقة قميصه وهي تقول:

- وأنا كمان عاملة لك مفاجأة ومش ها اقعدلك في البيت يا راجل يا فلاتي يا دون.. يا ختاااااااى..

- وانطلقت تجمع ملابسها في حقيبة وهي تهتف بكلمة واحدة:

- طلقني.. طلقني..

وهرولت إلى باب الشقة تجر حقيبتها جراً وزوجها يهرول ورائها غير مستوعب ما يحدث وفتحت لتجد "نوسة" واقفة أمام الباب وبادرتها ببساطة:

- يا طانط ماما بتقول لحضرتك قبل ما تسيبى البيت لو سمحتي عرفي عمو مكان الخزين.. عشان لو احتاجنا حاجة وحضرتك مش موجودة..

-

تمت

مدرس خصوصي..

معاناة كل بيت مع دخول الدراسة هي الدروس الخصوصية..

فلا يوجد بيت تقريبا يخلو من تلميذ أو أكثر في أي مرحلة من مراحل التعليم المختلفة؛ ومع اختفاء فكرة الشرح في المدارس برزت تلك المشكلة..

وها هي أم تحاور ابنتها التي تصر على المدرس الخصوصي وهي مازالت في الصف الأول الإعدادي:

- ماما.. ماما.. ماما..
- اييييه.. في إيه يا بنتي.؟
- أنا أخدت الشهادة النهاردة..
- طب إيه الهليلة دي.؟ فرحانة أوى كدة ليه.؟ إنتي جبتي الشهادة.؟ ولا نولتي الشهادة.؟

وتناولت الأم الشهادة من يد ابنتها وما أن وقع نظرها على الدرجات حتى خبطت بيدها على صدرها وصاحت بالبنت:

- يا نهارك مدوحس.. 8 من 20 في الإنجليزي.؟! بس شاطرة كل ما اطلب منك حاجة تقوليلى sorry.!

ردت البنت:

أديكي قلتي بنفسك أهو.. يعني أنا لبلب في الإنجليزي عشان تصدقي إن المدرسين مستقصدني..

- مستقصدينك.؟ كل سنة المدرسين مستقصدينك.؟ ده إنتي لو عليكي تارليهم ما تجيبيلش الدرجات دي.. منك لله على طول منكدة عليا كدة..
- يووووه بقا يا ماما ما قلتلك ميت مرة عايزة آخد درس زي أصحابي كلهم بياخدوا عند مدرس الفصل وبيديهم الدرجات النهائية كل شهر.. إشمعنى أنا بقا.. الله..
- الله يسخطك عرسة يا بعيدة.. درس إيه اللي هتاخديه.؟ مش كفاية مصاريف المدرسة الخاصة اللي قاطمة وسطنا.؟
- خلاص بقا ما تبقيش تزعلى لما أجيب ملحق إنجليزي..

وأعطتها المزغودة ظهرها ودخلت إلى غرفتها وهي تبرطم بكلمات غير مفهومة..

ظلت الأم تغالب مشاعر الغيظ وحاولت الثبات على رأيها ورفض المدرس الخصوصي إلى أن أقنعها زملائها في العمل أنه لا نجاح لطالب في تلك الأيام السودة إلا بالدروس الخصوصية؛ فقررت الامتثال للأمر الواقع وعادت إلى

منزلها ومن ثم نادت على ابنتها التي مازالت مادة بوزها غضبا من أمها..

- تعالي يا نور.. قوليلى بقا نظام الدرس ده إيه.؟

تهلل وجه الفتاة من السعادة ويكأن أمها بشرتها بعريس كامل من مجاميعه واحتضنت أمها قائلة:

- بجد والنبي يا ماما وافقتي.؟ طب بصي يا ستي أنا أصحابي كلهم بياخدوا عند مستر "عماد" في البيت..

- لا يا حبيبتي ما فيش حاجة اسمها عند المستر في البيت ولا في حاجة اسمها مستر من أصله.. شوفيلك ميس تديكى الدرس..
- بس يا ماما مدرس الفصل مستر.. كدة هيستقصدني زيادة وأنا مالي بقا.. إهيء. إهيء. إهيء..
- خلاص اتسدي أنا موافقة.. بس يجي يديكي هنا إنتي وزمايلك وعوضي على الله في كراسي السفرة..

وفى اليوم التالي عادت نور من المدرسة وهي تزف لأمها بشرى موافقة المستر على انضمامها لمجموعته؛ ولكن بعد الموافقة على شروطه.. فصاحت بها الأم:

- شروط إيه يا بنتي.؟ هو أنا طالبة إيده.؟
- هو نظامه كدة يا ماما أنا مالي بقا..
- قولي يا نن عين ماما إيه شروطه.؟
- بيقولك يا ماما الدرس هيبقى بعد المدرسة على طول؛ ولو حضرتك لسة ما رجعتيش من الشغل تبقى تعمليله نسخة من مفتاح الشقة عشان هو بيخرج قبلنا ومش معقول هيستنى في الشارع..
- يا صلاة الزين. يا صلاة الزين.. وما طلبش يا حبيبتي نكتبله نص الشقة بالمرة.؟
- لا يا ماما ده والله مستر "عماد" طيب أوى عشان كدة قالي لو ماما ما عجبهاش الوقت ده ما فيش بقا غير مجموعة بالليل..
- امممممم.. ودي بقا بالليل الساعة كام.؟
- الساعة 12..
- نعم نعم.! 12 نص الليل.؟ ليه يا بنتي هو مدرس ولا مسحراتي.؟!
- لا يا ماما أصله بيدي كذا مجموعة طول اليوم ومش فاضي غير في الوقتين دول.. حضرتك اختاري بقا بس لو اختارتي مجموعة بالليل في الحالة دي هتعملى نسخة كمان من مفتاح العمارة أحسن ييجى يلاقى البواب نايم..

- لا يا حبيبتي وعلى إيه.؟ خليه ييجى بعد المدرسة على طول وأنا هبقى استأذن ساعة من الشغل يوم الدرس وأمرى لله..

مريومان وحان اليوم الموعود المحدد لأول حصة؛ وعادت الأم من عملها مبكرا حسب الاتفاق وما أن اقتربت من العمارة حتى راعها مشهد تجمهر عدد من الناس أمام البوابة وقفز قلبها من مكانه وهرولت إلى البواب تسأله عما يحدث:

- عم "أحمد" فيه إيه.؟ حريقة دي.؟ ولا العمارة جايلها إزالة.؟ إيه اللمة دي كلها.؟

رد عم "أحمد":

- لا يا مدام دول مستنيين حضرتك..
- مستنيين حضرتي.؟!

اقتربت من الجمع ببطء وفجأة سمعت صوت ابنتها ينادى بجذل:

- ماما.. يا ماما..

التفتت لتجد البنت تتقافز وسط ما يزيد عن خمسة عشر بنتا وبجانبهم رجل ينظر في ساعته متململا..

نادتها أمها فجاءت مهرولة وصاحت:

- إنتي جيتي يا ماما.؟ حمدالله ع السلامة.. ياللا بقا نطلع عشان المستر مستعجل عنده مجموعات تانية..

فغرت الأم فاها وسألت ابنتها في ذهول:

- يا ليلة سودة.. مين دول يا بت.؟
- إيه يا ماما.؟ دول زمايلى بتوع الدرس وده المستر "عماد"..

ثم سحبتها من يدها وهي مازالت فاغرة فاها على أخره وهي تتخيل 15 بنت وابنتها والمدرس منتشرين في شقتها الساعة الثانية ظهرا وهي وراءها طنا من الأعمال عليها تأديتها قبل عودة زوجها من عمله..

وصلا إلى المجموعة وما أن رآها المستر حتى صاح بها:

- كنتي فين يا مدام.؟

قالت الأم بينها وبين نفسها في تعجب:

- ينيلك ده أنا جوزي ما بيقولهاليش

أكمل الرجل بقرف:

- مش معقولة كدة عطلتونا.. ما قولتلكم تعملولي مفتاح.. هو أنتم أحسن من مين يعني.؟ أهو شوفي حضرتك كل أولياء الأمور عاملين لي مفاتيح..

ثم أخرج من حقيبته حلقة كبيرة من السلك معلق بها ما يزيد عن ثلاثين مفتاحاً ذكرها منظرها بميدالية اللصوص في أفلام الأبيض وأسود..

مازالت الأم مشدوهة صامتة إلى أن لمحت ابنتها مرة أخرى فسالتها ثانية:

- مين دول يا بت.؟
- تاني يا ماما.؟ ما قلت لحضرتك دول زمايلى في الدرس.. ياللا بقا ما تضيعيش وقتنا..

طلع السرب سلم العمارة وكأنهم في رحلة حتى وصلوا إلى باب الشقة الذي فتحته الأم وهي مازالت صامتة مصدومة..

دفعنها البنات إلى الداخل وفى ثوان معدودة كن منتشرات في المكان كفرقة التدخل السريع التابعة للجيش ويرددن هتاف:

- هيييييييييييه.. هيييييييييييه..

وبدأت مهمتها في البحث عن مقاعد تكفيهن وكان شيئا مستحيلا بالطبع؛ وفى النهاية جلس من جلس ووقف من وقف وتوسطهن المستر المبجل نافشاً ريشه مثل شهريار عصره وأوانه..

تركتهم الأم ودخلت إلى المطبخ لإعداد طعام الغذاء قبل مجيء زوجها مؤسية نفسها بأنها ساعة وتعدى ولا حول ولا قوة إلا بالله..

جاءها صوت ابنتها هامسا من خلفها:

- ماما.. ماما..
- في إيه يا بنتي.؟ سايبة الدرس وجاية ليه.؟
- المستر عايز كوباية شاي تعدل دماغه..
- ماشى روحي إنتي وأنا هاعملها..
- طب باقولك إيه.. ما تجيبي ساندويتش أنا جعانة أوي..
- مش عارفة تصبري لغاية ما تخلصي الدرس.؟ يا بت الوقت بيجري وده ظابط الساعة من قبل ما يطلع..
- الله بقا أنا جعانة أوي..
- خلاص اتسدي.. خدي عضي في الساندويتش على ما أعمل الشاي..

تناولت البنت كوب الشاي وخرجت تتلمظ بباقي الساندويتش وما هي إلا ثوان حتى عادت لأمها هامسة:

- ماما "رضوى" كمان جعانة وعايزة ساندويتش
- يا بنتي هتفتحى عليا فتحة كدة.. يعني هتعملى لرضوى بس.؟! وزمايلها لا.؟

- معلش يا ماما أصل إحنا طالعين من المدرسة جعانين..

رق قلب الأم لهن وأخرجت أرغفة الفينو من الثلاجة وأعدت لهن جميعا وجبة صغيرة تصبرهن حتى يعدن إلى منازلهن.. ومرت دقائق لم تسمع فيها صوت المستر أو البنات.. ومرة ثالثة عادت البنت:

- ماما.. ماما.. المستر بيقولك الجبنة الرومي دي مش بطارخ ما تجيبيش منها تاني.. ولو فيه جبنة براميلي اعمليله رغيفين وقطعيله خيارتين..

ردت الأم بغيظ:

- شوفتي يا مقصوفة الرقبة أنتي.. مش قلتلك هتفتحى عليا فتحة.! اخفى من وشى بقا خليني أحضر الغدا لأبوكي أحسن قرب ييجى..
- وانهمكت في تحضير الغداء وهي تكاد تتميز غيظا من هذه الوقعة السوداء.. قاربت على الانتهاء وحان وقت طشة الملوخية..

ارتفعت صيحات الاستحسان قادمة من الصالة فابتسمت في رضا.. يبدو أن هذا الرجل رغم بروده إلا أنه متمكنا من مادته فالبنات معجبات بشرحه..

ولم تكن تعلم أن تلك الصيحات كانت إعجابا برائحة الملوخية التي جرت ريقهم وسرعان ما أدركت ذلك حينما وجدت ابنتها في قفاها وهي تقول في تردد:

- ماما.. المستر عايز شوية ملوخية صغيرين عشان ريحتها جت في مناخيره وجرت ريقه..

صرخت بها الأم وهي تمسك بتلابيبها بعد أن فرغ صبرها:

- الله يقطعك إنتي والمستر بتاعك في ليلة واحدة هو إيه.؟ عنده دودة ف بطنه.؟ يا بت ده من ساعة ما جه بياكل أمال هيشرح امتى.؟
- يوه يا ماما ما تكسفينيش معاه بقا يقول علينا إيه.؟ بخلا يعني.؟
- لا يا حبيبتي ما يصحش ودي تيجى.؟ لا بخلا إزاي.؟ هاتيه يا حبيبتي لما أفرشله في الثلاجة يقيل شوية..

وهكذا جرت الملوخية البامية؛ ثم الأرز.. وملأ المستر والبنات بطونهم والأم تقف بالمطبخ مستندة على الحائط وهي تشعر بثقل في اللسان وتنميل في ذراعها الأيسر وبدايات جلطة غير مستقرة..

دقيقتين وسمعت صوت المستر يقول:

- طب يا بنات أشوفكم الحصة الجاية بقا..

ونادت ابنتها عليها لأن المستر يريدها في كلمتين.. خرجت من المطبخ وهي تغالب رغبتها في اصطحاب يد الهون معها ودق رأسه وتحويلها إلى كفتة ولكنه عاجلها بابتسامة لزجة:

- متشكرين أوى يا مدام ع الغدا.. بس نصيحة من أخ يعني الملوخية الخضراء أفضل بكتير من المحفوظة دي وأصح كمان.. المهم.. إحم. إحم.. إحنا ما اتفقناش.. عموما أنا باخد في الحصة 50 جنيه.. باخد بالشهر وأجي المرة الجاية ألاقى نسخة من المفتاح.. مش هستنى في الشارع تاني ويمكن البنات يزيدوا اتنين تلاتة كمان عشان الامتحان قرب وباعمل مراجعات.. ياللا سلامو عليكو..

نزل يجر وراءه طابور البنات وحانت من المسكينة التفاتة إلى أرض المعركة فوجدت صالة بيتها قد تحولت إلى صالة سينما درجة ثالثة آخر الليل.. مقاعد السفرة مقلوبة..

قشر لب ومناديل ورق في الأرض..

أعقاب سجاير أطفأها "المخفي" بقدمه على السجاد.. بقايا طعام في كل مكان..

ثم اكتمل يومها الميمون بصوت مفاتيح زوجها وهو يفتح باب الشقة ويدخل عابسا مثل كل يوم هاتفا كعادته:

- جعاااااان.. حضر يلي الغدا بسررررعة..

ثم تلفت حوله وقلب شفتيه باشمئزاز قائلا:

- إيه المزبلة دي يا هانم.؟ ده منظر أخش ألاقيه.؟ إنتي جاية من الشغل من 3 ساعات كنتي بتهببي إيه من ساعتها.؟

ظلت صامتة وهي لا تدري كيف تخبره أن طعام الغداء اتنسف.. كان فمها مازال مفتوحا منذ بداية هذا الكابوس وأول ما نطقت به كان عند رؤيتها للمزغودة ابنتها وهي تتقافز هنا وهناك فشدتها من ياقتها وسألتها دامعة:

- مين دول يا بت.؟

-

تمت..

سَحْل مدني..

البداية كانت خبراً ساراً.. أما النهاية فكانت خيبة أمل بسبب بلوى من بلاوي بلدنا التي أعاني ويعاني منها الجميع..

بشرى سارة لمدام "نادية".. فلقد جاءتها تأشيرة لعمرة رجب.. وبالفعل بدأت في تجهيز أوراقها وهي فرحة متحمسة أن منَّ الله عليها أخيرا بزيارة الأراضي المقدسة..

وأولى الخطوات كانت تجديد جواز السفر الخاص بها.. وهذا الأمر يتطلب عدة إجراءات أولها استخراج شهادة ميلاد كمبيوتر؛ وقسيمة زواج كمبيوتر؛ وذلك أمراً يستدعى بالطبع زيارة السجل المدني.. وما أدراك ما السجل المدني..

وبالفعل أخذت مدام "نادية" إجازة يوم من عملها وانطلقت إلى السجل وكلها حماسة واستبشار..

وعندما وصلت إلى هناك لم تجد الباب.. نعم لم تجده.. وذلك من الأعداد الهائلة من البشر المكدسين في انتظار فرصة للهجوم.. أقصد الدخول..

حاولت "نادية" مرارا وتكرارا اختراق تلك الكتل اللحمية وكانت في كل مرة تُقذف إلى الوراء.. إلى أن كتب الله لها النجاة ووجدت نفسها بالداخل.. واستلزم ذاك فتح ثغرة في هذا

الجدار البشري لا تقل عن متر × متر ونصف؛ وهذا ما حدث عندما أتى رجلا ضخما واقتحم هذا الجمع وهي متمسكة بجلبابه.. وبتلك الحيلة استطاعت تخطى أول مرحلة.. وأصبحت الأن في أرض المعركة وبدا المشهد كالتالي..

المكان عبارة عن عدة نوافذ وكل نافذة يقف أمامها طابوران أحدهما للرجال والأخر للسيدات.. ولا يقل كل طابور عن خمسين فرداً بخلاف الملقى على الأرض ما بين قتيل وجريح جراء المصادمات في الطابور..

كانت مهمتها الأولى هي تحديد أي نافذة ستنضم إلى طابورها فتوجهت إلى الرجل الجالس على مكتب بجانب البوابة وهمت بسؤاله؛ ولكنه لم يعطها الفرصة وأشار لها تجاه إحدى النوافذ قائلا بألية دون أن ينظر إليها:

- الأستاذ "مُيِسر"..

استبشرت خيرا بالاسم ولسان حالها يقول: يا مُيِسر يا رب واتجهت إلى النافذة التي أشار لها الرجل مباشرة بحسن نية عندما أوقفها صوت زمجرة جماعية صادرة من الطابور.. التفتت لتجد تلك النظرات العدائية المرعبة تخترق جسدها..

الكل يراقبها بتحفز وكل منهم واضعا يده على جيبه في وضع استعداد لإبراز السلاح لو تقدمت خطوة أخرى..

لوحت لهم بمنديل ابيض وقالت:

- صلوا ع النبي كدة يا خوانا أنا هاسأل سؤال بس وأمشى..

تعالت أصوات الزمجرة مرة أخرى؛ وهنا سمعت صوت من خلف النافذة يصيح متسائلا:

- في إيه يا مدام.. معطلة الطابور ليه.؟
- أبداً أنا باسأل على الأستاذ "مُيِسر"..
- أنا يا ستى "مُيِسر" خير إن شاء الله.؟
- أنا بس عايزة أسأل على..

قاطعها الرجل مستنكرا:

- تسألي.؟ كدهون بالبساطة دي.؟ والناس اللي واقفة دي إيه.؟ قراطيس لب.؟
- ياعم أنا عايزة اعرف بس أقف طابور قدام أنهو شباك.؟
- هنا فيه نظام يا مدام.. اقفى في الطابور ولما توصلي قدامي هنا أبقى اسألي براحتك..

حاولت أفهامه لكنها وجدت أيدي كثيرة تجذبها من قفاها وتسلمها إلى أيادٍ أخرى حتى وجدت نفسها في أخر الطابور..

ظلت واقفة بصمت يجمع ما بين الغيظ والتوجس وكادت الدموع تطفر من عينيها حينما شعرت بيد تربت على كتفها وسمعت صوت حنون يقول:

- تعالي اقفى جنبي هنا يا بنتي.. مالك بس زعلانة ليه.؟

التفتت نحو الصوت فوجدتها سيدة عجوز تبتسم لها ابتسامة ودودة ارتاحت لها وردت قائلة:

- ما إنتي شايفة يا أمي مش عارفة أسأل على حاجة وقدامي خمسين نفر على ما أوصل للشباك.. وممكن أوى ما يطلعش هو اللي أنا عايزاه يعني عطلة وغيظ ع الفاضي..

ضحكت المرأة قائلة:

- زهقتي بسرعة كدة.؟ إنتي عارفة أنا هنا من إمتى.؟

نظرت لها "نادية" بتساؤل فأكملت المرأة:

- أنا هنا من وأنا بنت بنوت..

ردت "نادية" بذهول:

- يا سنة سوخه يا أولاد..
- أيوه أمال إنتي فاكره إيه.؟ أقل واحد واقف في أي طابور من اللي قدامك دول بقاله سنتين تلاتة.. إحنا هنا يا بنتي أسرة واحدة كلنا عارفين بعض.. عندك مثلا الشاب والشابة اللي واقفين هناك دول اتعرفوا على بعض في طابور تجديد بطاقة الرقم القومي؛ وحبوا بعض في طابور استلام البطاقة.. ودلوقتي متجوزين وجايين يقضوا شهر العسل في طابور استلام القسيمة بين أهلهم وناسهم.. ياسلاااام قصة حب جميلة..

حملقت بها "نادية" غير مصدقة ثم سألتها بفضول:

- وإنتي هنا من أيام ما كنتي بنت بنوت إزاي بقاا.؟
- لاااء أنا حكايتي حكاية.. أعرفك بنفسي؛ أنا اسمي "زينب" وأول مرة جيت هنا كان من تلاتين سنة؛ وكانت كل المنطقة دي غيطان.. جيت اطلع شهادة ميلاد إكمني ساقطة قيد وكان ساعتها الناس مش كتير زى دلوقتى.. بس الحق الموظفين هنا كانوا بيتصرفوا ويجيبوا ناس من ع القهوة يعملوا بيهم طوابير..

ردت "نادية" بذهول:

- يا سلاااام.. والله ما قصروا.. وبعدين.! كملى التاريخ كملى..
- بس يا بنتي.. قعدت الخمستاشر سنة الأولانيين أحاول أوصل للشباك عشان أسأل ع الشباك الخاص بشهادات الميلاد؛ وكل مرة على بال ما أوصل تكون الساعة بقت اتنين ويقولولي شطبنا.. أما العشر سنين اللي بعد كدة قضيتهم في الطابور قدام الشباك المختص؛ وكانوا أحلى سنين حياتي.. في الطابور ده عرفت أبو "نظام" جوزي وقضينا فترة خطوبتنا كلها في الطابور.. حتى ابني البكري "نظام" ولدته في الطابور وكان خلاص باقي لي نفرين وأوصل للشباك واضطريت ابدأ من أول وجديد بعد الأربعين.. هيييييح كانت أيام..
- طب كدة خمسة وعشرين سنة.. الخمس سنين الباقية بقا دول إيه.؟
- هههههههههه.. ما أنا خلاص بقيت مدمنة طوابير ما أقدرش أعيش من غيرها.. بقالي خمس سنين كل ما ألاقي نفسي مخنوقة أدور لي على طابور أقف فيه؛ ولما أفك شوية أروح.. حتى الواد "نظام" إبني عايز يتجوز في الشقة قولتله

خلاص يا ابني اقعد أنت وعروستك في الشقة وإن كان عليا أشوفلي طابور أقف فيه اليومين اللي باقيين لي في الدنيا..

ظلت "نادية" تنظر إلى "زينب" وهي لا تدري هل تضحك أم تبكي.؟ وأفاقت على وصولها أخيراً إلى الأستاذ "مُيسِر"؛ وهمت بسؤاله ولكنها فوجئت به يغلق النافذة بكل برود قائلا:

- الساعة 2 يا أستاذة.. خلاص شطبنا تعالي بكرة اسألي بس من بدري عشان تلحقي الطابور من أوله..

نظرت للحاجة "زينب" فوجدتها تستعد للذهاب.. وشردت متخيلة نفسها مثلها بعد خمسة عشر عاما في الطابور..

وفى صبيحة اليوم التالي توجهت إلى السجل وكلها أمل أن تنجح مساعيها تلك المرة؛ ولكنها فوجئت بالطابور نفسه.. والغريب أن المتراصين فيه هم أنفسهم من كانوا بالأمس يتربصون بها..

وتكرر الموضوع بحذافيره ومحاولتها للوصول للأستاذ "مُيسِر" ونفس صوت الزمجرة..

سألت عن الحاجة "زينب" فقيل لها أن اليوم هو الخميس

وهي معتادة على الوقوف بطوابير مجمع التحرير في هذا اليوم لأنها تحب التغيير في الويك إند..

حاولت "نادية" السؤال خارج الطابور لكنها لم تفلح فأشار عليها أحد الواقفين أن تغمز فرد الأمن بقرشين وهو يدلها.. لكنها رفضت بكل إباء وشمم فكيف تدفع رشوة وهي التي تسعى للذهاب إلى زيارة بيت الله الحرام.؟!

- كلا البتة لن يكون.. لن يكون..

وعندما أشرفت الساعة على الثانية وهي مازالت واقفة مدت يدها في جيبها وأخرجت عشرة جنيهات وضعتها في يد الرجل فأشار لها على النافذة المطلوبة قائلا:

- النهاردة جبرت خلاص تعالي بقا الأحد من بدري وارشقي قدام الشباك ده..

غادرت مدام "نادية" إلى منزلها وهي تكاد تطير من الفرح فالحلم اقترب تحقيقه..

وجاء اليوم الموعود وذهبت إلى السجل مبكرة جداً وتوجهت مباشرة إلى النافذة التي عليها العين والطلب..

وقفت في الطابور المخصص وكان أمامها حوالي خمسة وسبعين فرد فقط لا غير.. وبالطبع دقت الساعة الثانية ظهراً وكان بينها وبين تحقيق الحلم فردين فقط.. وغادرت وهي تبكي بكاءً مراً..

لن أطيل عليكم.. ظل الحال على ما هو عليه قرابة شهر حتى ضاعت عمرة رجب ورمضان وأوشكت أن يرفع عنها القلم ولم يكتب لها الله لقاء الموظف الأسطوري خلف النافذة المقدسة أبدا..

إلى أن من الله عليها ذات يوم مشرق ووصلت إلى الموظف والذي كانت عقدة سحنته تجهض الحامل في شهرها التاسع ونظر لها باشمئناط وقال:

- عايزين صورة البطاقة..
- موجودة..
- وشهادة الميلاد القديمة..
- موجودة..
- وست صور..
- موجودة..

انفجر الراجل بها:

- هو في إيه.؟! كله موجود. موجود.. اشتغل إزاي أنا دلوقتى.؟ إنتي إيه.؟ عايزة تخلصي الموضوع من أول مرة ولا إيه.؟

ردت "نادية" بغيظ:

- من أول مرة إيه بس.؟! حضرتك أنا بقالي شهرين رايحة جاية على ما عرفت أوصلك..
- - ماليش دعوة باللي فات أنا ليا شغلي أنا.. وريني كدة الصور الشخصية بتاعتك..

وفجأة أشرق وجهه وقال بانتصار:

- آها الصور يا أستاذة خلفيتها مش بيضا.. فوتي علينا بكرة بست صور خلفيتهم بيضا..

ذهبت "نادية" وهي تنفث من منخارها نارا كالتنين ولكن ما باليد حيلة.. يجب عليها الصمود فهي ليست أقل من أبطال الطوابير العظام أمثال الحاجة "زينب" والحاج عبده الذي ضاع من عمره عشرون عاما كي يستخرج مستخرجا من شهادة ميلاده إلى أن نصحه أولاد الحلال أن يكمل في الطوابير إلى أن يستخرج شهادة وفاته بالمرة بدلا من الدوخة وقد كان.. هيييييح الله يرحمه..

المهم يا حضرات جهزت "نادية" الصور ذات الخلفية البيضاء وذهبت للأستاذ المسؤول وكان يبدو حزينا وعلمت من زملاء الطابور أن عمته توفاها الله وأن نفسيته في الحضيض لأن المرحومة توفت قبل أن تتم الثمانين..

وقفت في الطابور ثلاث ساعات أخرى إلى أن وصلت إليه فألقى نظرة على الصور ثم هب من مقعده صارخا وهو يرغى ويزبد متعجبا من الناس التي لم يعد عندها إحساس ولا يقدرون أحزان الغير ولا يهمهم سوى مصالحهم الشخصية فقط..

كل هذا وهي واقفة فاغرة فاها وتحدق به في ذهول؛ حتى أنقذها عامل البوفيه من حيرتها واقترب منها حاملا الشاي - لابن الكئيبة طبعاً - قفز في أذنها هامسا:

- ما هو إنتي ما لكيش حق برضه يا مدام.. الراجل عمته لسه ميتة ما سبعتش وإنتي بتضحكي في الصور.! ما يصحش برضه..

نظرت للرجل بغيظ وهي تقاوم رغبتها في سكب كوب الشاي الذي يحمله في قفاه وقالت:

- نعم ياخويا.؟ ناقص تلبسوا الطابور كله اسود كمان.. باقولك إيه أنا خلاص بيني وبين الجنان شعرة.. والله لو ما خلصت النهاردة لأكون جايالكم بكرة لابسة كسرولة في دماغي وأوريكم الجنان على أصوله..

ابتسم الرجل في برود وتنحى بها جانبا وهو مازال يهمس في خبث:

- اهدي بس يا مدام.. مقضية إن شاء الله والفلوس اللي هتدفعيها في الكسرولة إديها للأستاذ وتخلص المصلحة..

نظرت له باشمئزاز ثم دست في يده ورقة نقدية فئة الخمسين جنيها آمله من الله أن يغفرلها فهي مضطرة لذلك..

دخل الرجل وهمس بشيء في أذن المخفي الجالس خلف النافذة يبرطم بكلام غير مفهوم؛ وما أن استلم المعلوم حتى تبدل حاله من حال إلى حال؛ وأشرق وجهه من جديد ونسى عمته ومن أنجبوا عمته؛ وبقدرة قادر بعد خمس دقائق كانت أوراقها جاهزة وفى يدها..

وفى اليوم التالي توجهت إلى مجمع التحرير كي تستخرج جواز السفر.. تذكرت أن اليوم هو الخميس عندما وقع نظرها على الحاجة "زينب" واقفة في الطابور تقضي الويك إند..

وما أن رأتها "زينب" حتى أخذتها بالأحضان فوجدتها فرصة وسألتها بما أنها خبرة:

- هو أنهى شباك بتاع تجديد الجوازات.؟!

نظرت لها بشفقة وضحكت قائلة:

- اختاريلك أي طابور اقفى فيه..

"نادية" وهي متهللة:

- ياااه.. ما شاء الله.. أي طابور.؟ إيه التيسير ده؛ أهو كدة..

ضحكت الحاجة "زينب" وقالت:

- أي طابور يوصلك لحد تسأليه يا حبيبتي.. ربنا معاكي.. عموما الجو هنا هيعجبك أوى عن السجل.. المجمع شرح وبرح ولسه لما ييجى الشتا الجو بيبقى دافي ع الأخر والشمس ضاربة في الطوابير لحد الساعة اتنين.. حاجة كدة تخرج الرطوبة من الجسم..

نهايته.. يا سادة يا كرام مر على "نادية" الشتاء والربيع والخريف وعمرة رجب وشعبان ورمضان والحج؛ واقتربت من مقابلة وجه كريم؛ لم ولم تستلم جواز السفر بعد..

والأدهى من ذلك أن أعراض إدمان الطوابير بدأت تظهر عليها ولم تعد تطيق الوقوف وحدها في أي مكان حتى في المطبخ.. كانت ترص خلفها الأولاد وأبوهم في صف واحد منتظم حتى تشعر بالاطمئنان والألفة..

وأصبحت نزهتها المفضلة كل يوم خميس هي اصطحاب الأولاد والأكل والشرب والكورة وقضاء اليوم في المجمع.. وتعلم الأولاد مفردات جميلة مثل:

(فوت علينا بكرة - بالدور يا سيد - فتح مخك- أبرز تنجز) وغيرها من المعاني الجميلة..

وكانت النتيجة أن الولد الصغير عندما رسب في الشهادة الشهرية وخاف أن يوقعها منها وجدته يناولها الشهادة وتحتها خمسة جنيهات..

-

تمت..

خبيرة أُسرية..

لم يكفا عن الشجار منذ أن ارتبطا.. كانا يختلفان عن بعضهما البعض في كل التفاصيل والميول والهوايات..

هو يحب الموسيقى الصاخبة؛ وهي تهوى أغاني أم كلثوم الهادئة العميقة..

هو يحب متابعة مباريات كرة القدم؛ وهي تمقتها وتفضل عليها برامج الطبخ..

هو يحب الخروج والمشي؛ وهي بيتوتية جدا وقمة سعادتها في المكوث في المنزل بمفردها ممسكة ب ريموت التليفزيون الذي لم تلمسه منذ زواجهما..

حتى الشيء الوحيد الذي اتفقا على حبه كان مصدر خلاف بينهما وهو (صدر الفرخة).. الاثنان يحبانه ويكرهان الورك..

الخلاصة انهما عاشا في خلاف دائم على هذا النحو..

صاح "علي":

- صباح الخير يا "علية" حضر يلي الفطار بسرعة عشان نازل الشغل..

ردت "علية":

- وهو أنا يعني اللي نازلة في ال sale.؟ مأنا نازلة الشغل أنا كمان ولسه ورايا ميت حاجة.. هاعملك ساندويتش جبنة بيضا عض فيه في السكة وخلاص..
- إنتي عارفة إني ما بحبش الجبنة البيضا وباحب الجبنة الرومي.. ما بتجيبيش جبنة رومي ليه يا "علية".؟
- الجبنة الرومي عدت ال 100 جنيه يا "علي" يعني قربت من سعر اللحمة.. أجيب بقا جبنة رومي أعملها طاجن.؟ ولا أعمل منها شوربة.؟ ولا أعمل عليها ملوخية.؟! ياللا يا "علي" انزل الشغل يا "علي".. أنا عندي الضغط عالي يا "علي".. أه.. وما تنساش تسيب خمسين جنيه عشان رايحه لماما النهاردة وعايزة ادخل عليها بحاجة..

هب "علي" واقفا وصرخ بها:

- إيه.. خمسين إيه.؟ هو إنتي مش معاكي مصروف البيت ولسه مسمعاني طقطوقة على الجبنة الرومي.؟
- مصروف.؟ شيء لله يا سي مصروف ده بيخلص يوم 5 في الشهر؛ وبأكمل من مرتبي بقية الشهر.. ثم إني لسه جايبة لأمك صبغة لشعرها اللي زى ليفة المواعين.. وما

استخسرتش فيها.. إخص عليك يا "علي" إخص.. إهىء. إهىء. إهىء..

- يا "علية" أنا ما معييش غير فلوس مواصلاتي.. أجلي الزيارة دي لغاية ما نقبض بعد يومين.. ما حبكش يعني النهاردة..
- لا حبك يا "علي".. أمي وحشتني يا "علي".. وهاروح ومش عايزة منك حاجة يا "علي".. بس إبقى عدى على أمك وهاتلي منها فلوس الصبغة ولا مؤاخذة بقا..

نزل "علي" وهو على وشك الانفجار من الغيظ؛ وركب الميكروباص وظل يفكر طوال الطريق في حل لتلك الخلافات التي لا تنتهي..

وصل للعمل وجلس ينجز عمله وهو شارد التفكير مكفهر الوجه حتى لاحظت مدام "نيلي" حالته فسألته باهتمام:

- مالك يا أستاذ "علي" النهاردة.؟ شكلك متضايق ومتعكر..
- أبدا يا مدام "نيلي" الأمر ما يخلاش وما حدش في الدنيا دي مرتاح..
- طب فضفض واحكيلي.. إحنا زمايل واخوات وبنقعد مع بعض اكتر ما بنقعد في بيوتنا..

- أقولك إيه بس وأعيد إيه.؟ "علية" مراتي يا ستي ما بتبطلش نقار معايا على أتفه الأسباب.. ما بنتفقش مع بعض على أي حاجة من يوم ما اتجوزنا..

ضحكت "نيلي" وهي تغمز بعينها مداعبة:

- هههههههه.. عشان كده ما خلفتوش لغاية دلوقتى.؟
- نخلف إيه بس.؟ ده أنا متهيألي لو خلفنا عيل هنختلف نربيه ولا نرميه.؟ يا شيخة اسكتي دي عيشة تطهق..
- طب ما فكرتش تقعد معاها قعدة حلوة كده في مكان هادى بعيد عن البيت وتتكلموا سوا بهدوء وتحاولوا تشوفوا إيه سبب الخلاف الدائم ده.؟
- بصراحة ما حاولتش.. وبعدين زى ما أنتي عارفة الجاي على قد اللي رايح وما فيش بند يسمح بخروجات وفسح ولا حتى جبنة رومي..
- طب اسمع يا أستاذ "علي" أنا أعرف خبيرة علاقات أسرية شاطرة جداً وحلت مشاكل ناس كتير أوى كانوا خلاص على وش طلاق.. إيه رأيك تروحولها يمكن يكون ليها طريقة علمية لحل مشاكلكم المستمرة دي..

رد "علي" متعجبا:

- إيه.؟ أنا سمعت عن خبيرة تغذية، خبيرة كمبيوتر، خبيرة مفرقعات حتى.. لكن أول مرة اسمع عن خبيرة علاقات أسرية.. صحيح يا أولاد اللي يعيش ياما يشوف..
- يا أستاذ على إحنا دلوقتى في زمن العلم الحديث والعلم ما خلاش حاجة إلا لما درسها.. وطبعاً ما فيش أهم من علاقة الراجل بمراته عشان العلم يصلحها وبعدين يا سيدي ربنا قال: (واسألوا أهل الذكر أن كنتم لا تعلمون) صدق الله العظيم..

رد "علي" واضعا يده بخبث على كتف "نيلي":

- ونعم بالله يا ستي.. خلاص لو زاي ما بتقولي كده إيدي على كتفك..

أزاحت "نيلي" يد "علي" من على كتفها بغيظ قائلة:

- لا.. إيدك على كتف مراتك يا سي "علي" وخدها وروح لدكتورة "نيرة".. بس احجز الأول بالتليفون خد الرقم أهو..

رجع "علي" إلى المنزل بعد انتهاء العمل فلم يجد "علية" فتذكر إنها ذاهبة إلى أمها فشعر بارتياح وحرية ودخل المطبخ ليجده خاليا من أي طعام للغداء..

فتح الثلاجة ليجد ورقة بجوار علبة تونة مكتوب عليها بخط "علية" (غداك لغاية ما تجيب فلوس الصبغة من أمك)

صفق باب الثلاجة بعنف حانقا وجلس يفكر في أمر تلك المرأة التي لا تكف عن افتعال المشاكل.. هو يحبها ولا يستطيع الاستغناء عنها ولكنه يريد العيش في هدوء بدون خلافات يومية فما الحل.؟!

وفجأة تذكر نصيحة "نيلي" ووضع يده في جيبه بحركة تلقائية وأخرج رقم تليفون خبيرة العلاقات الأسرية.. ولمَ لا.؟! فليجرب لن يخسر شيئا وربما أصابت تلك الفكرة ولن يتكلف الأمر أكثر من ثمن الكشف.. فليس هناك مضاد حيوي ولا حقن تقوية ولا مرهم تسلخات..

وقام متحمسا ليمسك بسماعة الهاتف ويدير الرقم وسرعان ما رد عليه صوت أنثوي ناعم أنساه كل مشاكله الأسرية..

- هالو.. مع حضرتك عيادة دكتور "نيرة" خبيرة العلاقات الأسرية تحت أمرك يا فندم..

تاه "علي" للحظة عن الرد متذكرا صوت "علية" الذي يذكره ببائع العرقسوس.. وأفاق على الصوت الجميل وهو يسأل:

- هالو.. حضرتك معايا يا فندم.!

رد "علي":

- معاكي يا أنسة.. كنت عايز أحجز كشف بس بعد يومين يا ريت.. ممكن.؟
- ممكن طبعا يا فندم تحت أمر حضرتك في أي وقت حضرتك عايز كشف عادى ولا مستعجل.؟
- باقول لحضرتك كمان يومين يبقى مستعجل إزاي.؟!
- أيوه فاهمة يا فندم.. أنا اقصد يوم الكشف تحب تدخل للدكتورة أول ما تيجى ولا تستني دورك.؟ لأن الحضور بيبقى كثيف جداً.. يعني لو حضرتك حجزت كمان يومين هتبقى رقم 24..
- يا سنة سوخه.. هي رجالة البلد كلها متخانقة مع نسوانها ولا إيه.؟!

رنت السكرتيرة ضحكة جعلته يلعن اليوم اللي شاف فيه "علية" واللي جابوا "علية" وردت بدلال:

- حضرتك ظريف أوى..

خارت أعصاب "علي" وتمنى لو يحجز مستعجل ويروح لوحده بلا "علية" بلا جزر..

"علي" متسائلا:

- هو الكشف العادي بكام.؟ والمستعجل بكام.؟

- حضرتك العادي ب 500 والمستعجل ب 800

على مكذبا ودانه:

- 500 إيه.؟ 500 جنيه.؟
- أيوه يا فندم والمستعجل ب 800 جنيه..

على صارخا:

- عارف انه ب 800 هباب.. ده سبب الخلاف كله 50 جنيه أروح اكشف ب 500 روحي. روحي.. ربنا يصلح حالك..

وضع السماعة محدثا نفسه:

- يا ليلة سودة.. دي "علية" كلها على بعضها ما تجيبش 200 جنيه.. أصلح علاقتي بيها ب 800.؟ يا أخي إنشاالله ما اتصلحت.. يخيبك يا مدام "نيلي" الولية دي اتهبلت ولا إيه.؟

دخل "علي" ليرتاح قليلا في غرفته وأفاق بعد ساعتين على صوت "علية" وهي تضيء النور وتكركب في درج الكومود

بجانبه دون مراعاة لكونه نائما مما أثار غيظه وتذكر ملاحظتها على علبة التونة فهب جالسا في الفراش وصرخ بها:

- حمدالله ع السلامة يا هانم.. يا رب تكوني انبسطتي عند أمك وأولع أنا بجاز.. ده إنتي يا ولية لو سايبة دكر بط في البيت كنتي بلتيله لقمتين عيش قبل ما تنزلي..

ردت "علية" ببرود:

- اتمسى يا "علي" وقول يا مسا.. ما أنا سيبالك علبة تونة في الثلاجة أعملك إيه أكتر من كده يعني.. وما جيبتش فلوس الصبغة من أمك ليه واتغديت بيها.؟ أنا ماكانش معايا غير خمسين جنيه يا دوب أروح لأمي كنت عايزنى أطلبلك سيمون فيميه من باريس.؟! أما عجايب والله..

رد "علي" وهو على وشك ارتكاب جريمة قتل:

- لا يختي كنتي اترزعتي ف بيتك شفتي طلبات جوزك وأجلتي زيارة أمك لبعد القبض هي أمك هتطير.؟ دي وزنها 150 كيلو يعني قاعدة وراسخة مش هتروح في حتة..

"علية" محتقنة الوجه غيظا:

- لا اسم الله على أمك (ميس طنطا) وفاتنة السيد البدوي تلت سنين متتالية.. لايمها يا "علي" بدل ما ودين النبي ألم هدومي وامشي.. أه أنا خلاص جبت أخرى من عيشتك النكد دي..

صاح "علي" وقد فلتت أعصابه:

- بالسلامة يا "علية" والقلب داعيلك وخدى الباب في إيدك يختي وإنتي ماشية..

جمعت "علية" ملابسها باكية ومبرطمة بكل نقيصة في "علي" وأم "علي" ورزعت الباب راجية من الله أن يريها في "علي" وأمه عجائب قدرته ولم تنس تهديده بالويل والثبور وعظائم الأمور لو ما جابش فلوس الصبغة من أمه..

ظل "علي" يومين في هدوء وراحة بال من المشاكل؛ وبعدما قبض الراتب وشعور السعادة المؤقت المصاحب له ارتاحت أعصابه وهدأت سريرته وشعر بشوق لعلية وقرر الذهاب لبيت والدتها ومصالحتها..

في تلك الأثناء كانت "علية" قد راجعت نفسها وأحست أنها بالغت في رد فعلها؛ وأنها قد تخسر زوجها الذي تحبه بسبب

خلافاتهما المستمرة ونصحتها "لبنى" صديقتها الأنتيم باستشارة خبيرة علاقات أسرية ربما أفادتها بحل علمي ينقذ حياتها الزوجية؛ ورشحت لها دكتور "نيرة" ولكنها نبهتها إلى أنها تتقاضى كشفا باهظا قد يصل إلى 500 جنيه..

ذعرت "علية" في بادئ الأمر.. ولكنها بعد تفكير طويل أدركت أن استقرار حياتها مع "علي" يستحق أكثر من ذلك بكثير وقررت دخول جمعية مع زميلاتها دون علمه للحصول على مبلغ زيارة الخبيرة؛ وضغط النفقات المنزلية حتى تكون قيمة قسط الجمعية..

أما "علي" فكان يفكر نفس التفكير في أن حياته مع "علية" تستحق التضحية بهذا المبلغ وقرر ضغط نفقاته والإقلاع عن التدخين وتوفير ما يمكن توفيره هذا الشهر كي يذهب في أخر الشهر إلى دكتور "نيرة".. وقرر أيضاً أن يتفادى أي صدام مع "علية" إلى أن يحين ذلك الوقت..

تصالح "علي" و"علية" وعادا إلى المنزل وفى نية كل منهما تلاشى أي خلاف في بدايته؛ ولم يصرح كل طرف برغبته في استشارة خبيرة علاقات أسرية خوفا من سخرية الطرف الأخر..

ومرت الأيام في هدوء نسبى لا يخلو من بعض المناوشات البسيطة التي كانت تجهض في حينها؛ وكانت "علية" تقتصد في طهي الطعام وقللت من استخدام اللحم والدجاج إلى درجة لاحظها "علي" وأسرها في نفسه مغتاظا منها محدثا نفسه:

- يعني أنا حرمت نفسي من السجاير والساندويتشات في الشغل والشاي والقهوة اللي كانوا بيعدلوا مزاجي عشان أنقذ حياتنا.! وإنتي يا "علية" عماله تقصقصي من مصروف البيت عشان تحوشي على قلبك.! معلاهش خليني كاتم لما أشوف اخرتها معاكي يا بنت حميدة..

أما "علية" فكانت تنظر بغل لـ "علي" وهو عائد من عمله خالي اليدين من الفاكهة التي يختص بها من ميزانية المنزل وهي تحدث نفسها:

- يعني أنا حارمة نفسي من الشيكولاتة والبيبسي والفطار مع زمايلى؛ والفراخ اللي باحبها وسيبت فلوس الصبغة لأمك عشان أنقذ حياتنا الزوجية.؟! وأنت عمال تحوش.؟ معلش خليني كاتمة أما أشوف اخرتها معاك يا ابن انشراح..

كان كل منهما يتعامل مع الأخر بطريقة ظاهرها الهدوء وباطنها الغيظ والغل إلى أن أوشك الشهر على الانتهاء وكل منهما قد كون مبلغ الزيارة وأسرع إلى الحجز تليفونيا دون علم الأخر.. وتصادف أن يكون الحجز في نفس اليوم وذهب كل منهما بمفرده متعللا للأخر بالذهاب لزيارة أمه وكادت "علية" أن تطلب من على - بحكم العادة - إحضار فلوس الصبغة من أمه ولكنها آثرت السكوت حتى تتم استشارة الخبيرة أولا..

وصل "علي" أولاً وكانت العيادة مكتظة بأزواج وزوجات تعلو وجوههم إمارات الغضب والقرف؛ وكل طرف يعطى ظهره للطرف الأخر.. وللمرة الأولى يدرك "علي" أن الاستشارة تحتاج لوجود الطرفين معا ولكنه لم يبال؛ وتوجه مباشرة لمكتب السكرتيرة التي كان جمالها وأناقتها يبعث على الخلاف بين كل رجل مع امرأته أساساً..

وقف أمامها متسمرا ومقارنا تلك الغادة الهيفاء بـ "حوكشة" بتاع الكاوتش اللي متزوجها..

وبما إنه بالكاد كون مبلغ الكشف العادي فكان أمامه عدة حجوزات فاستغل ذلك الوقت بالثرثرة مع تلك الحسناء

والضحك والكركرة إلى أن شعر بيد ثقيلة تهوى على كتفه فظن أن الدورية الراكبة تمر؛ وأنه ظبط متلبسا بالتحرش وراح في داهية..

مد يده بحركة تلقائية إلى جيبه بحثا عن البطاقة إلا أنه سمع صوت "علية" وهي تولول صارخة في أذنه:

- ياااختاااااااااى.. يالهوي. يالهوي. يالهوي. أنت بتهبب إيه هنا يا راجل يا خاين العشرة يا فلاتي بالفطرة.. يا خايب يا عايب يا جلاب النوايب.. يا خبير في البصبصة على كل أنثى معصعصة..

تلعثم "علي" وحاول غلق فمها بيده فعضت كفه عضة شديدة أطلق لها صرخة خرجت على أثرها دكتور "نيرة" من مكتبها مستطلعة الأمر.. ثم اصطحبتهما إلى مكتبها محاولة احتواء الموقف..

حاولت "نيرة" تهدئة "علية" التي لم تكف عن البكاء والعويل لحظة ظنا منها أن "علي" تربطه علاقة بالسكرتيرة وأن الله أراد لها اكتشاف خيانته بالصدفة.. في حين انشغلت "نيرة" أيضا بتضميد كف "علي" الذي ينزف دماً مكان العضة وهي

تهمس له بانه من الأفضل ذهابه إلى مستشفى الكلب لأخذ المصل الواقي من السعار تجنبا لحدوث مضاعفات.. وهو ينظر إلى "علية" شذرا معتقدا أنها تراقبه منذ فترة لعدم ثقتها به..

وعندما هدأ الموقف قليلا بدأ كل طرف يشرح لنيرة حقيقة الموقف؛ وعزز حجز كل منهما صدق أقواله؛ فنظر "علي" وعليه إلى بعضهما بحب واغرورقت عيناهما بالدموع وهنا تدخلت "نيرة" بكلمتين كي تحلل ثمن الكشف الذي لهفته مضاعفا:

- شفتم بقا يا حضرات.! سوء الظن بين الطرفين ممكن يوصلهم لإيه.؟ عشان كده روشتة علاجي ليكم حاولوا تثقوا في بعض أكثر وتفهموا بعض أكثر وإن شاء الله تطمنونى عليكم الجلسة الجاية.. سعيدة بلقائكم وهاستئذنكم عشان الكشف اللي بعدكم..

ردت "علية" بصوت رقيق وهي تنظر لـ "علي" بنعومة لم يعهدها فيها:

- أنا باشكر حضرتك على استضافتنا في مكتبك وباعتذر على سوء التفاهم والقلق اللي عملته.. ميرسي خالص لحضرتك..

ثم تذكرت الألف جنيه التي دفعاها فاستدركت بلطف وهي تنظر بخجل لنيرة:

- طبعا إحنا هناخد الكشف واحنا خارجين لأننا اتصالحنا لوحدنا من غير خدمات حضرتك.؟

ردت "نيرة" ببساطة:

- للأسف يا فندم الكشف لا يسترد تحت أي ظروف ودي لوايح العيادة.. حضرتك أخدتي منى استشارة علمية تفيدك في إصلاح حياتك الأسرية وأنا أديت دوري بغض النظر عن أي سوء تفاهم حصل..

كشرت "علية" عن أنيابها متناسية تماما تلك اللهجة الرقيقة التي تحدثت بها ونظرت لنيرة نظرة جعلتها تنكمش في مقعدها ونطت على المكتب صارخة بها:

- استشارة.! استشارة إيه يا أم استشارة.؟ ده أنا لو كنت اشتكيته لخالته كانت قالتلي كلمتين أكتر من دول وببلاش..

ثم اختطفت فتاحة الأظرف من أمامها ولوحت بها في وجهها قائلة:

- إعلي بفلوس الكشفين بدل ما أشقك نصين بالطول..

مدت الدكتورة "نيرة" يدين مرتعشتين وفتحت الدرج ثم أعطت النقود لعليه وهي ترتعد..

اختطفتها "علية" من يدها وأعطتها بدلاً منها فتاحة الأظرف وخرجت متأبطة ذراع "علي" وابتسامتهما تعلو وجهيهما..

وفي الطريق إلى المنزل تعاتبا بود وحب ونظرت "علية" في عيني "علي" برقة هامسة:

- ليا طلب أخير يا "علي" عشان ما يبقاش في قلبي حاجة من ناحيتك..

رد "علي" بشوق:

- اؤمريني يا حبيبتي..

قالت "علية" بحدة مفاجئة:

- تجبيلي فلوس الصبغة من أمك يا "علي"..

-

تمت..

معاش مبكر..

"محمود" و "سناء" زوجان موظفان ولديهما ابن وابنة.. كانت الحياة مستقرة بهم بحلوها ومرها إلى أن حدث من الزوج مالم يكن في الحسبان..

الزوج "محمود" كسول جدا مثل كثير من الأزواج المصريين.. نكدي جداً مثل كثير من الأزواج المصريين.. ولكن وجوده خارج المنزل طيلة اليوم كان يخفف كثيرا من عاداته السيئة..

إلى أن قرر البائس أن يقدم طلبا لإحالته للمعاش المبكر بعدما سمع عن فتح الباب لذلك دون المساس بمستحقاته المالية وبمعاش كامل.. وطبعا كان يعلم أن "سناء" لن توافقه على قراره هذا أبداً..

لذا تكتم الأمر إلى أن تم كل شيء وخرج بالفعل معاش مبكر.. وفى صبيحة أول أيامه في المنزل بعد المعاش كان هذا المشهد..

"سناء": محمووووود.. أنت يا محمووووود.. قوم يا راجل الساعة بقت 7 هتتأخر ع الشغل..

"محمود" متململا في فراشه ومزمجرا:

- اييييه فيه اييييه.؟ عايز أنام يا "سناء" الدنيا برد.. مش رايح أنا الشغل سيبينى بقا أتخمد..

"سناء" مبرطمة:

- مش رايح.؟! أهو أنت كده ييجى الشتا وتعيشلى في دور السلحفاة وتعمل بيات شتوي وأهو كله على دماغي.. قال على رأي المثل: تمشى لجوزك في جوازه ولا تشوفيه واخد أجازه..

ونزلت "سناء" لعملها تاركة "محمود" راقداً في تحت البطاطين ومستمتعاً بالدفء.. وعند الساعة الثالثة عادت "سناء" حاملة كل ما يلزم المنزل من أغراض لزوم طهي طعام الغداء.. فتحت الباب لاهثة بعد صعودها خمسة أدوار فوجدت أولادها أمام التلفاز.. سألت عن "محمود" فأشاروا لها في صمت إلى غرفة النوم.. توجهت للمطبخ وهي تتمتم:

- يالهوى عليك يا دي الراجل.. لسه راقد في السرير زى النفساء.. ياللا خليك نايم نوم الظالم عبادة لغاية ما أخلص طبيخ بدل ما تقوم تأكلني..

قطع تفكيرها صوت "محمود" المغشلق من أثر النوم:

- إنتي جيتي يا "سناء".؟ كويس.. أصلى جعان أوى عملتي الغدا.؟
- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم خضضتني يا "محمود" فيه إيه.؟ أنا لسه داخلة ما لحقتش اعمل حاجة..

- طب أنا جعاااااااان. جعاااااااان.. أعمل إيه يعني.؟ آكل بعضي.؟
- خلاص. خلاص.. هاجيبلك حتتين كيك تتصبر بيهم..
- أكلت الكيك اللي هنا الصبح..
- طب هافتحلك علبة تونة..
- هما كانوا علبتين فطرت بيهم الضهر..

"سناء" وقد بداة تتعصب:

- خلاص قوم عض في جوافتين ولا تفاحتين وانزل من على وداني بقا خليني أشوف اللي ورايا..
- الفاكهة خلصت.. مأنا أصلى مزمزت فيهم وأنا قاعد باتفرج ع المسلسل..

خبطت "سناء" على صدرها وهبت فيه قائلة:

- بسم الله الحفيظ.. إنت إيه.؟ أمك إتوحمت على جرادة سوداني.! أسيبك يوم في البيت تأتي ع الأخضر واليابس.! بركة أن العيال بخير ومش ناقصين حتة.. أمال إيه جعان. جعان وأنت مشطب على الخزين كله.؟

"محمود" بغيظ:

- جرى إيه يا ولية.! إنتي هتبصيلى في اللقمة ولا إيه.! دي نيلة إيه دي.؟

انتهت "سناء" من طهى الغدا وتغدوا ودخل الأولاد لاستذكار دروسهم وجلست هي ومحمود أمام التلفاز..

وبالطبع ظل "محمود" متمسكا بال ريموت كما لو أنهم واخدين بعض عن حب؛ وهو صامتاً عاقداً الجبين كأي زوج مصري صميم حتى حان وقت النوم.. وحمدت "سناء" الله أن انتهى يوم الإجازة على خير..

وفى صبيحة اليوم التالي:

- محمووووود.. قوم يا محمووووود.. اصحى هتتأخر على الشغل..
- يا ولية يا قلق إنتي سيبينى أتخمد.. إنتي على طول قالقة منامي كده..
- يا راجل قوم إتنحرر الساعة داخلة على تمانية.. إيه الكسل اللي أنت فيه ده..
- مش قايم يا "سناء" هه.. مش رايح الشغل يا "سناء".. ارتاحتي.! سيبينى بقا وشوفي رايحة فين..

- لاااء كده الحكاية فيها إنّ وكأن وحيثما كمان.. إنت إيه حكايتك بالظبط.؟ عملت إيه في الشغل متداري منه في البيت يا فالح يا أخرة صبري..
- هاعمل إيه يعني يا ست يا خرفانة إنتي.. سيبيني أكمل نومي وروحي لحالك ياللا..
- أروح لحالي ده إيه.؟ والله ف سماه ما ها تحرك من مكاني إلا لما اعرف إيه اللي مقعدك في البيت زى أمي كده..

"محمود" وقد خرج عن شعوره:

- عايزة تعرفي قاعد ليه.؟ ماشى يا "سناء" ها قولك.. أنا عملت معاش مبكر وخلاص قاعد في البيت على طول استريحتي.! ياللا بقا سيبيني أكمل نومي..

"سناء" بنفاذ صبر:

- يا راجل هو ده وقت هزار.؟ ما تخلصني وتقول مالك.؟

رد "محمود" بغيظ:

- يا ولية أنا ما بهزرش.. باقولك سويت معاشي خلاص ومش رايح الشغل تاني..

"سناء" غير مصدقة:

- أنت بتضحك معايا صح.؟ هههههههههه خلاص أديني ضحكت يالا بقا أتكلم جد..

رد بعصبية:

- يخرب بيت العيشة.. يعني أحلفلك بالطلاق عشان تصد...

لم يتمم "محمود" الكلمة حتى سقطت "سناء" مغشيا عليها من هول الصدمة.. وبدلاً من أن يحاول إفاقتها فرح أنها سكتت وسحب الغطاء فوقها وأكمل نومه..

دقائق واستيقظ على صوتها وهي توقظه من جديد:

- محمووووود هي الساعة بقت كام.؟ أنا الظاهر راحت عليا نومة ولا إيه.؟ قوم يا "محمود" هتتأخر ع الشغل..

وتثاءبت وهي تقول:

- يا ساتر ده أنا حلمت بحتة كابوس.! قال إيه خير اللهم اجعله خير إنك الشر بره وبعيد سويت معاشك وقعدتلى زى الكُبة في البيت.. يا ساتيييير.. المخ ده ياما بيسرح في منامه.. يا راجل قوم بقا وجعت قلبي..

- مش قايم يا "سناء".. وإنتي ما كنتيش بتحلمى يا "سناء".. وأنا فعلا سويت معاشي وقعدتلك زى الكُبة يا "سناء" وريني هتعملى إيه بقا يا "سناء".؟

خبطت "سناء" على صدرها صارخة ومولولة:

- يالهوى.. ده أنا عمالة اكذب نفسي.. إنت اتجننت يا راجل عشان تعمل كده.؟ بقا تسوى معاشك واحنا عيالنا لسه طلباتهم كتير والدنيا بقت مولعة نار.! هو إحنا بنعرف نمشي بمرتبك عشان نمشي بمعاشك.. وبعدين أنت قعدت في البيت يوم نفضته أمال أما تقعد على طول هتعمل فيه اييييه.؟! أه يا ميلة بختك يا "سناء" يا بنت عيشة..

"محمود" ببرود:

- خلاص.. خلصتي وصلة الندب يا بنت عيشة.؟ سيبينى أنام بقا..

ارتدت "سناء" ملابسها باكية وذهبت لعملها تجر أذيال الخيبة وهي غير مستوعبة بعد مغبة الأمور.. وظلت تتلقى كلمات العزاء في مصابها الأليم من زميلاتها طوال اليوم وعندما عادت إلى المنزل كان "محمود" ملتفاً في البطانية

وجالساً يضحك أمام مسرحية قديمة في التلفاز وفى حجره طبق لب وسوداني..

نظرت له في غيظ والشرر يتطاير من عينيها:

- ما شاء الله.. شكلك يفرح.. حلوة القعدة في الدفاع.. مش كده يا سبعي.! أنا اتمرمط في المواصلات وأجي الاقيك أخر سلطنة.. عوض عليا عوض الصابرين يا رب..

"محمود" بلا مبالاة:

- حمدالله ع السلامة يختي.. خشي سخنيلي الغدا عايز اكل
- وما قومتش سخنت وكلت ليه يا أخويا.. ولا تكونش الحركة مش كويسة ع اللي ف بطنك.؟
- واسخن لنفسي ليه.؟ أمال إنتي وظيفتك إيه.؟ ياللا بلاش غلبة هامووت من الجوع.. بقالي ساعة ما اكلتش وعمال أقزقز في اللب والسوداني زى نسناس الجنينة لما قولوني قام عليا..

دخلت "سناء" وهي تبرطم لتجهيز الغداء.. ومرت الأيام ولا جديد ومحمود طول اليوم راقدا في الفراش أو يتابع المسلسلات ويأكل حتى أصبح أشبه بالقط الرومي..

ومر شهر على هذا الحال وبدأ الملل يدب في سي "محمود" والفضا وحش كما تعلمون.. وهذا ما كان.. إلى أن استيقظت "سناء" صباح يوم جمعة على أشياء تقذف على وجهها وأصوات فرك وحرك في الغرفة..

فتحت عينيها لتجد بعض الملابس على وجهها وعندما أزاحتها فوجئت بزوجها معتلياً الدولاب ولا أجدع شمبانزي قافش في شجرة وهو يقذف بالملابس من بلاكار الدولاب على الفراش وعلى الأرض والغرفة تشبه سوق الكانتو..

قفزت واقفة على الأرض وهي تصيح به:

- اصطبحنا وصبح الملك لله.. بتعمل إيه يا "محمود".؟!

رد "محمود" من فوق الشجرة اقصد الدولاب:

- باطلع الصيفي يا ست هانم ما إنتي نايمة في العسل وسايبة الدنيا بايظة..
- صيفي.؟! صيفي إيه يا راجل أنت ده إحنا لسه في نص يناير.. عيب ع الكلسون اللي أنت لابسه تحت الهدوم والبطانية اللي ناقص تخش بيها الحمام.. هو أنت مش لاقيلى مصيبة تأنبني عليها.؟

توقف "محمود" عن قذفها بالملابس وقال باستنكار:

- إيه ده.! إحنا لسه في يناير.؟ وأنا باقول مالي سقعان كده ليه.؟ أمال إيه الصيفي اللي بطلعه ده يا "سناء".؟!

"سناء" وهي تتميز غيظا:

- بتسألني أنا.؟ الله يسامحك يا شيخ.. شايف منظر الأوضة بقا عامل إزاي.؟ اتفضل بقا شيل الهدوم دي زى ما طلعتها..

نظر لها "محمود" كمن ينظر إلى معتوهة وهتف بها:

- إنتي اتجننتى ولا إيه يا ولية.؟ هدوم إيه اللي ها طبقها وأشيلها دي.؟ أمال إنتي وظيفتك إيه في البيت.؟

وتركها تشد في شعرها وخرج من الغرفة..

نفثت "سناء" النار من انفها وأذنيها واستعاذت بالله من الشيطان الرجيم وبدأت في طي الملابس وترتيبها وهي تكاد تبكي كمدا وقهرا وما أن انتهت حتى سمعت صوت ابنتها "ريم" وهي تستنجد بها..

- يا ماما.. يا ماما بقا تعالي إلحقيني.. افففف ماليش دعوة بقا أنا عايزة اذاااكر..

صرخت "سناء":

- فيه إيه يا بلاوي أنتي وهوا.. أنا ناقصاكوا انتوا كمان.؟ أنت يا زفت يا "رامي" سيب أختك تذاكر ما تعاكسهاش

"ريم" هامسة بصوت مخنوق:

- مش "رامي" يا ماما ده بابا.. هو هيفضل قاعد في البيت كده يرازي فينا..
- إنتي اتجننتى يا مقصوفة الرقبة.! حد يقول على أبوه كده ده بركة البيت..
- يا سلام يا ست ماما ما أنا سامعاكي امبارح بتقولي لخالتو بالليل إنك مش هتقدرى تروحيلها عشان أبو شبت قاعد يلف في البيت زى العقربة في موسم التزاوج.. وإنه طلع معاش عشان يرازي فينا.. صحيح يا ماما هو يعني إيه يرازي دي.؟
- هس بس يا بنت اكتمي خالص وقوليلي عملك إيه أبوكي..
- يا ماما كل يوم يقعد يقلب في الكراسات ويقوللى تعالي سمعيلي اللي خدتيه النهاردة.. أقوله بذاكر رياضة ويقوللى

لا تعالي سمعي إنجليزي.. وهو أصلا ما بيعرفش يقرا إنجليزي وبيضيع وقتي..

شخطت "سناء" في البنت وماهي إلا ثوان معدودة وسمعت "رامي" الصغير وهو يبكي بحرقة..

هرولت إليه فوجدت "محمود" يحاول إسكاته والولد على صرخة واحدة مما ذكرها بالمنصور الأهبل ابن عز الدين آيبك وكلمة واحدة على لسانه:

- ماليش دعوة.. أنا عايز الشيكولاتة يا ابويا.. إديني الشيكولاتة بتاعتي يا ابويا..

والرجل يحاول إسكاته دون جدوى..

نظرت "سناء" لمحمود بغل وسألته:

- أنت خدت شكولاتة الواد يا راجل.؟ أنت إيه.؟! ألطم يقولوا الولية اتجننت..

نظر لها "محمود" بخجل قائلا:

- ما هو إنتي اللي سيباني من غير فطار لغاية دلوقتى خليتيني ابص للي ف إيد العيال..

ردت "سناء" وهي تجز على أسنانها:

- مش بازيل آثار العدوان اللي عملته الصبح في الأوضة ياخويا.! افتح الثلاجة وأعملك ساندويتش على ما افضى.. الدنيا مش هتتهد يعني..

واستمر الحال على هذا المنوال.. وكل يوم "محمود" يخترع شيئا يتسلى به وينتهي بكارثة..

فيوما تعود من عملها لتجده يرسم على الجدران ويخبرها أن جلسته في البيت جعلته يكتشف في نفسه موهبه" الفن التشكيلي ولكنه لم يفسر لها ما علاقة الفن التشكيلي بانه يرسم سيخ شاورما على الحائط..

ومرة أخرى تفاجأ بالجارة تنظر لها شذرا وتبرطم بكلمات غير مفهومة عن الرجال الذين كبروا وخرفوا ويقذفون الجارات بمشابك الغسيل وهن في البلكونات..

ومرة ثالثة تستيقظ مذعورة على صوت المكنسة الكهربائية وهي تولول شافطة شيئا غير مفهوم مع أصوات صراخ وشجار في البلكونة.. وعندما جرت لاستطلاع الأمر وجدت المشهد

التالي.. زوجها ممسكا بالمكنسة وخرطومها متدلي في بلكونة الجار في الأسفل؛ وهو شيخاً متصابياً..

نظرت فوجدت المكنسة شافطة باروكة الرجل وهو يرغى ويزبد والناس تقف في الشارع مقهقهه على المشهد الكوميدي..

اعتذرت للرجل وسحبت زوجها والمكنسة ودخلوا تشيعهم اللعنات والضحكات.. وحاولت حتى خلصت الباروكة من المكنسة التي احترق موتورها..

كل هذا وزوجها ينظر خجلاً إلى الأرض وهي تنظر له عاجزة عن وصف سعادتها بمغامراته اليومية التي جعلتها تسير متخفية في الشارع من شدة الخجل..

"سناء" وقد نفذ صبرها:

- مالك ومال باروكة الراجل يا "محمود".؟ بتصطادها ليه بالمكنسة يا "محمود".؟ عايز واحدة قللي وأنا أجبلك يا محموووود..

"محمود" بخجل: باروكة إيه يا "سناء" اللي عايزها.؟ إنتي هتعملى زى الراجل المخبول اللي بيزعقلى بالنحوي ويقوللى يا

خاطف الرؤوس.؟! كل اللي حصل إني كنت زهقان قولت ألم الغسيل وقع منى فردة شراب فكرت أجيبها إزاي.! وبعبقريتى قولت ما فيش غير المكنسة اشفطها بيها على دخلة الراجل المسخرة اللي تحت راحت شافطة الباروكة.. إيه بقي.! الدنيا اتهدت يعني.. فضيها سيرة وحضريلى الفطار..

- ياااختاااااااااى.. هو أنت يا راجل ما بقاش في دماغك غير الأكل.؟ ارحم أمي العيانة وأبويا الميت..

وسارت الحياة على هذه الوتيرة حتى كانت الطامة الكبرى عنما عادت من العمل يوما وفوجئت بتجمع عدد كبير من الناس تحت العمارة..

فهرولت إلى شقتها مسرعة لتطمئن على "محمود" فوجدته ممسكا بتلابيب محصل الكهرباء الذي ينزف من جرح في رأسه وهو يصيح مهددا بالويل والثبور وعظائم الأمور؛ والناس تحاول تهدئته بلا جدوى.. وعندما صرخت متسائلة عما يجرى ردت الجارة أم "أحمد" بالعين والحاجب:

- ما هو برضة يا ست أم "ريم" سي الأستاذ جوزك مالوش حق.. هو الراجل الغلبان ده ذنبه إيه إن فاتورة الكهربا

جاية ب 1500 جنيه.؟ ما هو سي الأستاذ بتاعك طول النهار موصل وصلة كهربا للسايبر اللي تحت بعد ما شالوا لصاحبه العداد عشان ما بيدفعش..

صرخت "سناء":

- بتوصل كهربا للسايبر ليه يا "محمود".؟ يا دي الليلة الكحلي.. إحنا عارفين ندفع كهربتنا.؟

صمت "محمود" مطأطئاً رأسه وردت أم "أحمد" وهي تطرقع باللبانة:

- هو إنتي يختي ما تعرفيش إنه كل يوم بعد ما بتروحى الشغل بينزل السايبر يلعب ببلاش لغاية العصر.؟ طب ده حتى اسم النبي حارسه وصاينه "أحمد" ابني بيقوللى أن سي الأستاذ لهلوبة في التيفا 2017 ومش مهنيه على دور..

انتفض "محمود" مستنكرا وانبرى لتصحيح المعلومة هاتفا:

- اسمها الفيفا 2017 مش التيفا.. إيه الجهل ده.؟

لم تنطق الزوجة بكلمة بعد ما شعرت ببدايات ذبحة صدرية

وكل ما فعلته في اليوم التالي أن جمعت أولادها، وأم "أحمد" التي يقذفها بالمشابك، و"أحمد" اللي مش متهنى على دور فيفا، ومحصل الكهرباء المبطوح، وعم شكشك الذي فقد باروكته وتقابلوا جميعا أمام الهيئة التي كان يعمل بها "محمود" عازمين على أن يقعوا في عرض رئيسها ويقبلوا يديه ورأسه ليقبل طلبهم الرسمي لعودته للعمل وإلغاء المعاش حرصا على الصالح العام..

-

تمت..

"ميادة" الكيادة..

اليوم وبمناسبة الفالنتاين أقدم لكم "ميادة"..

"ميادة" شخصية متباهية بطبعها إلى أقصى حدود المباهاة والمبالغة؛ وتركز بالأكثر على كل ما ينقص زميلاتها من نواقص وتتلذذ بإشعارهن بنقصهن وميلة بختهن وتستمتع بنظرات الحسد في أعينهن الدامعة، ولذلك استحقت عن جدارة اللقب الذي أطلقنه عليها (ميادة الكيادة) وتعالوا نشوف الحكاية..

"ميادة" تدخل غرفة المدرسات صباحا وهي في كامل زينتها وترتدى كل ما هو أحمر؛ وتبادر زميلاتها قائلة:

- صباح الحب يا بنات.. ويا ستات هابي فالنتاين داي..

رفعت كل واحدة رأسها عن كشاكيل التلامذة ونظرن لها باستغراب..

مس "سوسن":

- إيه اللي إنتي عاملاه في نفسك ده يا "ميادة".؟

"ميادة" بزهو:

- إنتي مش عارفة يا "سوسن" إن النهاردة عيد الحب ولا إيه.؟ أووه باردون يا حبيبتي أنا ناسية أنك سينجل هتعرفى منين.؟ إنتي أخرك عيد الفطر وعيد الأضحى هههههههه..

مدام "سميحة":

- لمى نفسك يا "ميادة" ع الصبح.. وبعدين يختي هما المتجوزين عارفين الفالنطين بتاعك ده عشان السناجل يعرفوه.؟ بلا وكسة يختي..
- أووه.. إيه ده.؟ أفهم من كده إن جوزك ما جابلكيش حاجة يا "سميحة".؟ ولا حتى قالك هابي فالنتاين.؟ مش معقوووول.. طب ده "حسن" جوزي بيقوللى هابي فالنتاين يا حياتي من أول امبارح.. هيييييح يا حبيبي يا "حسن" أد إيه رومانسي وكيوت..

"سميحة" بغيظ:

- لا إزاي ما جابليش حاجة.؟ جابلي يا حبيبتي جابلي.؟ جابلي سكر وضغط ومرارة..
- لا بجد يا "سميحة" جوزك ما جابش هدية الفالنتاين.؟

انفجرت "سميحة" في وجه "ميادة" قائلة بحنق:

- بت إنتي أنا مش ناقصاكى أنا شايلة المرارة ومش طايقة روحي.. قال هدية قال.. أنا أخر مرة سمعت كلمة هدية منه كان جابلي كيس مشابك عشان القديم اتقطع.. قولتله خد فلوسه معايا فكة قالي لا اعتبريه هدية.. ومن ساعتها كل أما تيجى مناسبة ويقوللى طبعا أنا جيبت هديتي ويغمز بعينه ناحية البلكونة وعليها بقالنا 6 سنين..

استمعت مدام "فايزة" لسميحة ثم ردت بدورها:

- وأنا بقا أخر هدية جبهإلى جوزي كانت وأنا حامل في صفوت ابني اللي في الجيش دلوقتى.. ساعتها جابلي طرحة واتزنق في عيد الأم راح مديها لأمه ومن ساعتها ما شوفتش منه حاجة..

ثم انبرت مدام "سيدة" قائلة:

- يا بختكم.. أنا أول وأخر هدية جبهإلى جوزي كانت الشبكة وبيعهإلى بعد شهرين..

نظرت لهم "ميادة" نظرة ظاهرها الشفقة وباطنها الشماتة وقالت بكل كبرياء:

- مساكين.. قطعتوا قلبي.. خلاص ما فيش داعي بقا احكيلكم "حسن" جوزي جابلي إيه أحسن أجرحكم ولا حاجة..

التف الجميع حول "ميادة" في فضول رهيب مهددين إياها بالحرق حية لو لم تقل ماذا أحضر لها.؟ فجلست وسطهم منفوشة مثل الديك الرومي وبدأت تقتلهم بالبطيء قائلة:

- أقولكم إيه ولا إيه.؟! أنا من كتر الهدايا عملتلهم دولاب مخصوص وكل ما "حسن" يجيبلى هدية أحطها في الدولاب.. والحقيقة يا بنات "حسن" بيتلكك عشان يجيبلى هدية بمناسبة ومن غير مناسبة.. لدرجة إنه جابلي هدية لما زميله اترقى في الشغل.. هههههه فظيع "حسن" هههههه.. ده كفاية رقته وكلامه اللي يدوب الحجر..

نظرت "ميادة" لوجوه زميلاتها المحملقات بها بنظرات قاتلة وسمعت صرير أسنانهن وهي تجز في غل فأحست بسعادة طاغية وأخرجت من حقيبة بلاستيكية أنيقة دبدوبا أحمرا كبيرا وهي تقول:

- بصوا جابلي إيه امبارح بمناسبة عيد الحب.؟

خرمت أعينهن جسدها قبل الدبدوب وقالت "سميحة" من بين أسنانها:

- دبدوب احمر.؟ مش شايفة إنكم كبرتوا ع الحاجات دي ياختي.؟ طب يجبلك حاجة تلبسيها ولا تطفحيها حتى.. إنما الدبدوب هتعملى بيه إيه إن شاء الله.؟

رنت "ميادة" ضحكة جعلت زميلاتها يفكرن جديا في فصل رأسها عن جسدها وقالت بتشفي:

- هههههههههه.. ده قصر دباديب يا اذعر.. هههههههههه الفكرة مش في الدبدوب يا ميحة.. الفكرة في التقديريا حبي..

أمسك الزميلات بسميحة جيدا حتى لا تهور وتخنق "ميادة" ثم سألت "سيدة" "ميادة":

- طب ما تقليلنا ياختي بتعملي إيه لسي "حسن" يمكن نعرف نخلي إجوازتنا يعملوا زيه ويغرقونا هدايا..

ردت "ميادة":

- وماله يا حبيبتي ما أنتم زى أخواتي برضه.. اقعدوا وأنا هقولكم تعملوا إيه بالضبط..

سألت الأنستان "سوسن" ونجوى: - واحنا بقا لينا في النصايح دي.؟ ولا نولع في روحنا ولا إيه النظام.؟

ردت "ميادة" بشماتة:

- لا يا حبايبي أنتم تستعينوا بالصبر والصلاة والدعاء وربنا كبير بقا هههههه..

خرجت "سوسن" و"نجوى" وهما يحسبنا على "ميادة" داعين الله إن يريهما فيها عجائب قدرته.. وبدأت "ميادة" في إلقاء محاضرتها:

- بصوا بقا يا ستات.. الراجل من دول عايز اللي تدلعه وتهننه وتاكل عقله بكلمتين.. يعني في الرايحة والجاية انفخى فيه وحسسيه انه أرنولد شوارزنيجر ولا سيلفستر ستالوني حتى لو كان طول هنيدي وشبه سليمان عيد.. كمان لازم تحسسيه انه سبع الفلا وكلمته مسموعة وإنك بتخافى منه وتعمليله ألف حساب حتى لو كنتي بتفطسى م الضحك كل أما يتفتف وهو بيزعق.. والأهم من كل ده بقا تخدى بالك من نفسك.. تلوحيه.. تهبليه.. تخليه مش شايف غيرك.. يعني الصبح تكوني شاكيرا، والعصر صوفينار، وبالليل هيفاء.. بغض النظر عن إنه طول اليوم عدلي كاسب في فيلم السفيرة عزيزة..

ردت "سميحة" بفضول:

- يعني تفتكري يا "ميادة" لو عملت اللي بتقولي عليه ده جوزي هيعمل زي جوزك ويجيبلى هدايا بمناسبة ومن غير مناسبة.؟

"ميادة" بزهو:

- آه طبعا.. وساعتها أبقي ادعيلي بقا.. باقولك إيه.. النهاردة الفالنتاين وفرصة توضبي نفسك كده وتحضريله أمسية رومانسية.. وإنتي مروحة اشترى تورتاية وورد احمر كتير وشموع حمرا واعملى أي تغيير في شعرك وفى لبسك وإنتي هتشوفى منه اللي عمرك ما شوفتيه..
- لكن الحاجات دي تتكلف كتير يا "ميادة" واحنا ف نص الشهر وما فيش في البيت غير الفلوس اللي متشاله لأي ظروف..
- وهو فيه ظروف أحلي من دي يا عبيطة.؟ خدي الفلوس منجهى نفسك وهو لما يشوفك هينسى كل حاجة والفلوس تتعوض..

انصرف الجميع وظلت "سميحة" تجوب الشوارع وكلام "ميادة" يرن في أذنيها وقررت إن تأخذ النقود واللي يحصل. يحصل.. وأكيد زوجها لن يغضب بعد أن يعيش ليلة من ألف

ليلة وليلة وعلى غير توقع منه؛ فقد أخبرته في الصباح أنها ذاهبة للمبيت عند أمها..

عادت "سميحة" للمنزل وأخذت النقود من الدولاب وذهبت للكوافير وضربت شعرها أحمر؛ ثم ذهبت للمول واشترت طاقم أحمر مرصع باللمبات الصغيرة التي تضيء وتطفئ بلا انقطاع ولم تستطع منع خيالها من السرحان في تأثير المفاجأة على "فوزي" جوزها.. لابد أنه سيجن فرحا ويأخذها لانتقاء هدية ذهبية على الأقل؛ فهي تعلم انه سيقبض اليوم مكافأة مالية.. ثم قطبت فجأة عندما تذكرت إن المكافأة سيسدد بها الإيجار المتأخر.. عموما لا داعي للهدية الأن يكفي أن ترى التغيير الذي سيطرأ على علاقتهما التي بدأت تفتر..

اشترت التورتة الحمراء والورد الأحمر والشمع الأحمر وسارعت بالعودة للمنزل لتجهيزه قبل حضور "فوزي"، ولم تنس بالطبع إرسال الأولاد عند جدتهم..

وصلت البيت قبل "فوزي" وأسرعت بتجهيز الشموع والورود والتورتة ع السفرة؛ ثم ذهبت لغرفتها لإعداد نفسها لمقابلة زوجها الذي اقترب ميعاد وصوله..

فتح "فوزي" الباب بمفتاحه ودخل بخطوات متثاقلة وألقى بجسده المنهك على أقرب مقعد وجلس ساندا رأسه على يديه بادي الهم والإرهاق واخذ يحدث نفسه بحزن:

- الحمد لله إن العيال وأمهم مش هنا عشان ما حدش يشوفني بالمنظر ده.. لو "سميحة" هنا كان زمانها فتحالي محضر دلوقتى.. ولا بقا لو عرفت إني اتنشلت في الأتوبيس والمكافأة وبقية المرتب اتلطشوا منى كان زمانها شغلتلى المعددة اللي جواها؛ وتبقى ليلة سودا.. لا حول ولا قوة إلا بالله يعني يا ربي ما تجيش الطوبة غير في المعطوبة.! أسدد الإيجار منين دلوقتى.؟ ونكمل الشهر إزاي.؟ يا ريت عزرائيل ييجى يقبض روحي وأخلص من الهم ده..

وفجأة انقطعت الكهرباء ليهتف "فوزي" بضيق: هو يوم باين من أوله..

ساد الظلام إلا من ضوء احمر بعيد قادم من غرفة السفرة اللي كانت "سميحة" مختبئة بها ومولعة الشمع الأحمر ولابسة الطقم الأحمر أبو لمبات وأول ما حست بـ "فوزي" فصلت الكهربا حتى يكتمل الجو الرومانسي..

انقبض صدر "فوزي" وظن لوهلة أن الله استجاب له وبعثله عزرائيل يقبض روحه؛ وتأكد ظنه عندما رأى ذلك المخلوق الشيطاني الأحمر ذو الشعر الأحمر المنفوش والجسم الذي يضئ ويطفئ دون انقطاع قادما من ناحية غرفة السفرة التي تضيء بضوء احمر خافت..

نط "فوزي" وفط ووقف على الكرسي صارخا بهلع:

- أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.. يا رب أنا كنت باقولها من غلبي.. يا رب أنا مش عايز أموت دلوقتى أنا عندي عيال يا رب لا لا لا لا لاااااااااااااا..

أضاءت "سميحة" النور وجرت على "فوزي" محاولة تهدئته:

- "فوزي".. "فوزي".. أنا "سميحة" فيه إيه مالك.؟

"فوزي" وهو يغطى وجهه بكفيه:

- "سميحة" مين.؟ إنت عزرائيل.. "سميحة" عند أمها..
- عزرائيل إيه يا راجل انت.؟! هو عزرائيل هيجيلك عامل لايت سيستم كده.؟

رفع "فوزي" كفيه عن وجهه ببطء ونظر إلى "سميحة" بذهول وهي ضاربة شعرها موزمبليه أحمر ناري ولابسه الطقم أبو لمبات؛ وداهنه وشها فرشة كده وفرشة كده؛ وواقفة ملعلطة قدامه ولأول مرة يرى بعينيه أم لطفي اللي بتقيد وتطفى..

"سميحة" بابتسامة عريضة:

- هاه إيه رأيك.؟ أجنن مش كده.؟

"فوزي" بذهول:

- إيه يا ولية اللي عاملاه في نفسك ده.؟ قطعتيلي خلفي الله لا يكسبك ولا يربحك يا بعيدة..

"سميحة" مولولة:

- يا حزن الحزن.. بقا ده كلام تقولهولى يا راجل في ليلة زى دي.؟!
- ليلة زى دي.؟ دي ليلة سودة على دماغك ودماغي ياختي.. مالها الليلة دي يا خُلل.؟!

"سميحة" دامعة:

- ليلة الفالنتاين يا "فوزي" ياللي كاسر نفسي طول عمرك.. قال على رأى المثل: يا مستنية كلمة حلوة من الجوز.. يا مستنية البراد يعدل البوز..

قام "فوزي" متجها لغرفة النوم وهو يتمتم بقرف:

- يووووه.. هتقوللى بقا جوز وبوز وأراجوز ومش هنخلص الليلة دي..

"سميحة" مولولة:

- أه يا ميلة بختك يا ميحا.. أه يا كسرة نفسك يا ميحا.. أه يا عديمة الفالنتاين يا ميحاااااا..

جاءها صوت "فوزي" من داخل غرفة النوم منادياً بلهفة:

- "سميحة".. "سميحة".. تعالي بسرعة..

أشرق وجه "سميحة" وأيقنت أنه راجع نفسه وندم ودلوقتي حالا هيصالحها.. بس على مين لازم تدوخه الأول عشان تسامحه..

عدلت الموزمبليه وشغلت اللمبات ودخلت الغرفة بدلال ممزوج بعتاب:

- أفندم.. عايز إيه.؟ حنيت.؟ طب ما كان م الأول بدل القباحة دي.. عموما أنا عذراك وعارفة إن عقلك اتهوس أول ما شوفت النيو لوك بتاعي..

"فوزي" وهو يبحث في الدولاب كالمجنون:

- اتهببي.. بلا نيو لوك بلا زفت.. فين الفلوس اللي كانت في الدولاب هنا.؟

"سميحة" متلعثمة:

- الففففلوس.؟ ووو.. وبتسأل عليهم ليه دلوقتى يا فيزو يا حبيبي.؟

"فوزي" متهكما:

- عشان اتنشلت في الأتوبيس يا ميحه يا حبيبتي..

خبطت "سميحة" على صدرها حرقت لمبتين في الطقم وصرخت:

- يا ندامتي.. اتنشلت.؟ إزاي.؟ وفين.؟ وامتى.؟ وهنعمل إيه في الإيجار.؟ وهنكمل الشهر إزاي.؟ يااااادى الفالنتاين الجاز..

أشفق عليها "فوزي" وجلس بجانبها مربتا على كتفها:

- معلش يا "سميحة" قدر الله وما شاء فعل والحمد لله إني سايب فلوس سترة هنا للمواقف الطارئة دي.. إلا هما فين صحيح.؟ إنتي غيرتي مكانهم ولا إيه.؟

تنحت "سميحة" وبحلقت يمين وشمال باحثة عن مهرب من الإجابة ثم فتحت فمها لتخرج منه كلمات غير مترابطة:

- ما هو أصل الموزمبليه وال ال اللايت سيستم وتورتة حمرا ووو.. و"حسن" جاب دبدوب لـ "ميادة" الكيادة.. ووو وأصل "ميادة" هي اللي قالتلي.. منك لله يا "ميادة" يا كياده..

ظل "فوزي" ينظر لسميحة محاولا تجميع جملة مفيدة ولكن بلا جدوى..

- إنتي بتقولي إيه يا "سميحة".؟ أنا مش فاهم حاجة..

"سميحة" باكية:

- م الأخر كده الفلوس انصرفت يا "فوزي" على حفلة الليلة اللي كنت عاملاهالك مفاجأة.. هه بس..

نظر لها "فوزي" غير مصدق ولم ينطق بحرف ثم خرج من المنزل صافقا الباب خلفه بغضب جنوني..

أما "سميحة" فلم تجد طريقة تهدئ بها من ضيقها وغيظها سوى الذهاب إلى "ميادة" ونقحها كلمتين في جنابها على شورتها الطين اللي قلبت ليلتها غم.. وزمانها دلوقتى متمتعة بليلة فالنتاين فل وغرقانة في هدايا سي "حسن".. لكن عظيم بيمين أبداً لازم ولابد تتنكد زى ما نكدت عليها..

وصلت "سميحة" للعمارة وصعدت للدور الرابع واقتربت من شقة "ميادة" لتفاجأ بوابل من السباب ينطلق من "خلف" الباب:

- إنتي يا ولية يا سو إنتي.. كل ده بتحضري العشا.؟ ما تخلصي ف ليلتك السودة دي عصافير بطني بتصوصو..

ثم صوت "ميادة":

- حححاضر يا سي "حسن" دقايق ويكون العشا جاهز يا خويا.. هدي أعصابك.. هابي فالنتاين..
- يا خي فالنطين على دماغك يا بعيدة.. الفالنطين ده بتاع العيال التوتو مش للرجالة الخشنة اللي زيي.. قال فالنطين قال.. هو فيه طين اكتر من عيشتي معاكي.؟ جاتك الهم..

دقت "سميحة" الجرس وانتظرت حتى فتحت لها "ميادة" الكيادة بشعر منكوش وجلابية متشمرة وشبشب بوردة وبالقرب منها كائن ذو كرش مدور وسحنة مقلوبة خمنت أنه مستر "حسن" الكيوت أبو كلام يدوب الحجر..

ونظرت "ميادة" لسميحة بهلع وصمت قطعه صوت ابنتها وهي تبكي وتتمخط في كمها:

- ماما.. يا ماما.. مش لاقيه الدبدوب الأحمر بتاعي.. وأنا مالي بقا أنا عايزاه..

ردت عليها "سميحة" وهي تغمز بشماته لميادة الكيادة:

- الدبدوب ماما نسيته في المدرسة يا حبيبتي.. روحي خدي غيره من دولاب الهدايا بتاع مامي..

ثم استدارت عائدة لمنزلها دون كلمة زائدة..

-

تمت،

وفر.. وارتاااح..

السيدة "فايزة" بلغت سن المعاش وظلت عامين ما بين مكاتب التأمينات حتى تستطيع قبض معاشها..

وأخيراً قبضت مكافأة نهاية الخدمة، ومقابل رصيد إجازاتها بالإضافة إلى حصيلة صندوق الهيئة؛ وجمعت كل هذا ووضعته في دولاب ملابسها..

وبطبيعة الحال علم الجميع أنها أصبحت (مِقرشة) وبطبيعة الحال الكل ضاربه السلك في أيامنا السودة دي.. وبطبيعة الحال الكل طمعان وعشمان ومن اليوم الأول بدأت المحاولات لتقليبها في أي مبلغ..

الساعة 8 الصبح كانت "رضوى" ابنتها تدق جرس الباب..

- حاضر. حاضر أنا جاية اهو.. الصبر ياللي بتخبط.. الروماتيزم مكسحنى.. يوه ما كفاية خبط جاك خابط في صرصور ودنك.. مين.؟ "رضوى".؟ مالك يا بنتي.؟ كفى الله الشر العيال بخير.؟ والمخفي أبوهم مش زى القرد برضه.؟!

"رضوى" وهي تتشحتف:

- خير يا ماما.. ما فيش حاجة كلنا كويسين إهىء. إهىء. إهىء..

- ولما كلكم كويسين بتقوقى ليه يا بنتي ع الصبح كده.؟ وجايالي من بدري وأنا من رمضان بتحايل عليكي تيجى وتجيبي العيال اللي وحشوني وإنتي تقولي مش فاضية..
- إهىء. إهىء. إهىء..
- يوه.. ما تنطقي يا بنتي مالك.؟ إوعي يكون اللي ينطس ف حواجبه ابن "نوال" مد إيده عليكي.؟
- إهىء. إهىء.. لا يا ماما أبدا ده حتى "جمال" طيب وابن حلال مش عارفة إنتي ما بتحبهوش ليه.؟!

الأم وهي تمصمص شفايفها:

- ابن حلال.؟ طيب ياختي ربنا يهنى سعيد بسعيدة بس برضه ما قولتيش فيه إيه مشحتفك كده.؟!
- العيال يا أمي.. العيال صعبانين عليا أوى..
- ليه يا بت مالهم العيال بعد الشر.؟
- متبهدلين في مدارس الحكومة يا أمي وأخلاقهم بقت زفت وهيضيعوا مني.. تتصوري الواد الكبير امبارح أقوله سيب الموبايل اللي لحس دماغك ده وخش ذاكر يقوم يقلى: "فوكك منى يا مزة وروحي شوفي جوزك اللي قاعد ع النت

من امبارح.. خدي بالك منه ليكون لايف على حتة سوري ومقرطسك"..

- يالهوى.. حتة سوري.؟ ما داهية ليكون عملها المخفي ما هو طول عمره طفس وقال على رأى المثل: يا مصدقة إن جوزك مش بصباص.. اتوكسي ياختي ووسعي القرطاس..
- بصباص إيه.؟ وقرطاس إيه يا ماما بس.؟ هي يعني دي المشكلة.؟ باقولك الواد بقا ولا سواقين التكاتك أمال في ثانوي هيعمل إيه.؟ هيدخل عليا بإزازة بيرة.؟ إهيء. إهيء. إهيء.. ولا مقصوفة الرقبة "جنى" اللي في تالته ابتدائي تتصوري ديك النهار انده عليها نص ساعة ما تردش وفى الأخر أدخل ألاقيها مبحلقة في المراية وبتعمل حواجبها.؟!
- يا ندامتي.! ده أنا ما عملتهمش إلا يوم دخلتي ع المرحوم أبوكي..
- المصيبة إني لما زعقتلها قالتلي: "هو حصل إيه يعني يا "رضوى" ده أنا بساويهم بس تعالي. تعالي لما أظبطلك حواجبك اللي مغطيين على عينيكي وعاملينك زى يوسف داوود" كده..
- خبر اسود ومنيل.. إنتي مدخلاهم مدرسة ولا إصلاحية يا بنتي.؟!

- ما هو عشان كده جيتلك يا أمي تشوفيلي حل.. إنتي عارفة إن ليلى الصغيرة خلاص هقدملها في الصيف ومش عايزة أضيعها زى إخوتها وعايزة الحق "جنى" كمان واطلعها من المدرسة دي.. نفسي يا أمي أدخلهم مدرسة خاصة نضيفة.. يرضيكى ولاد بنتك يضيعوا ويبقوا عرة كده.؟ إهىء. إهىء. إهىء..
- لا طبعا ما يرضينيش.. بس أنا ف إيدي إيه يا بنتي.؟!
- أنا باقول يعني لو ممكن تساعديني بمبلغ من فلوس المكافأة بتاعتك أقدملهم في مدرسة عدلة يبقى جميل مش هانسهولك أبداً..

الأم وقد أدركت المغزى من الزيارة:

- وماله يا بنتي عدى عليا كمان يومين واللي فيه الخير يقدمه ربنا..

انصرفت "رضوى" مزقطة.. وبعد ساعة واحدة دق جرس الباب في هذه المرة كان "سمير" ابن الست "فايزة" والذي لم تره منذ ثلاثة أشهر بحجة انشغاله بالعمل..

"سمير" وهو يقبل يد أمه:

- إزيك يا ست الكل.. ليكي وحشة والله يا أمي..
- لا يا شيييييخ.؟! ليا وحشة.؟! أمال لو ماليش كنت عملت إيه.؟ ده أنا بقالي تلت شهور ما شوفتش وشك يا جاحد إخص عليك يا "سمير" هانت عليك أمك يا واطي.؟ إهىء. إهىء. إهىء..
- مشاغل والله يا ست الكل..
- طب انت مشغول.. المعدولة مراتك ما تطلش عليا وتجبلي الواد زيكا أشوفه.؟! ده وحشني أوى يا بني وأنت عارف الروماتيزم معجزنى مخلينى لا عارفة أروح ولا أجي وأنت واختك ساكنينلى في العلالي والسلالم حرماني منكم..
- لا يا أمي خليكى مستريحة إنتي واحنا نجيلك على عينينا إوعي تتعبي نفسك..

الأم بعتاب:

- بقا خايف على تعبي.! ولا على تعب المحروسة مراتك لو جيت قعدت عندكم شوية.؟ قال على رأى المثل: قلبي على ولدي خلاص هيموت وهو قلبه على نتاية عنكبوت.. إيه مالك يا واد مسهم كده ليه.؟! فيه حاجة مضايقاك.؟
- زيكا يا أمي.. زيكا..

- يا ندامتي ماله الواد يا "سمير".؟
- أبداً يا ستى اللوز مبهدلاه ومبهدلانا معاه كل يوم والتاني راقد لما وشه اتمقت وبقا قد مرتبي..
- يا ضنايا يا بني طب ما تشيلهاله يا "سمير" وتخلص منها..
- ما المشكلة يا أمي إني روحت بيه مستشفى حكومي قالولي ما فيش سراير فاضية في أوضة العمليات لو عايز يبقى هنعملهاله وهو واقف.. وكده هيبقى معرض واحدة من اللوزتين تقع في كعب رجله من جوا وساعتها هتبقى مشكلة كبيرة..
- يا خراب بيتي.! تقع في كعب رجله.؟! لا يا بني لا إوعي.. طب هو مش ليه تأمين صحي تبع مدرسته.؟ ما توديه.!
- وديته يا أمي سربونى وقالولى ما فيش داعي للعملية خليه فاتح بقه أسبوع هتنشف وتقع لوحدها..
- يوه جاتهم وكسة.. هي لوزه ولا سرته.؟! طب وبعدين يا بني هتعمل إيه.؟
- ما هو أنا عشمي في ربنا ثم فيكي أنك تديني مبلغ كده من المكافأة أعملهاله في مستشفى خاص..

الأم بلهفة:

- وماله يا حبيبي اللي تطلبه ربنا ينجهولك يا بني..

وهكذا يا حضرات كانت الأم تعلم جيدا إن ما ذكر أبنائها بها هي الفلوس؛ ومع ذلك لم تكن تستطيع التأخر عنهم في شيء.. وزاد الأمر عن حده وزادت الحجج والأعذار وبدأت النقود في التناقص تدريجيا مما جعل الأم تشكو إلى جارتها المقربة وعشرة عمرها "توحيده"..

"فايزة":

- بس يا ستي وأدى كل اللي حصل.. كل يوم والتاني حد فيهم يجيلي بحجة ويسحب شوية فلوس وأنا أخاف يزعلوا واديهم اللي هما بيطلبوه.. لكن بقعد أفكر لما فلوسي تخلص هاعمل إيه.؟ لو تعبت ولا احتاجت علاج ولا مستشفى مين فيهم هيقف جنبي.؟ ولا لو مت مين هيصرف على خرجتي.؟ إهيء. إهيء. إهيء..

"توحيده":

- لا يا "فايزة" ياختي إنتي غلطانة المال السايب يعلم السرقة.. وإنتي غلطتي لما شيلتي فلوسك هنا في البيت وخلتيها مطمع وإديكي سهلة تتمد عليهم كل شوية وخد

من التل يختل يا حبيبتي.. وبعدين عيالك مستسهلين وإنتي بمساعدتك ليهم على طول خليتهم ما يحاولوش يحلوا مشاكلهم بنفسهم.. طب والنبي لما فلوسك تخلص ما حد هيسأل عليكي.. اسمعى كلامي وشيلي فلوسك في البوسطة.. ومنين ما حد يسألك قوليله أنا مش قادرة أروح، أنا مش فاضية أروح، أصل البوسطة قافلة النهاردة.. وشوية شوية هيزهقوا ويبطلوا طلبات..

- طب ما حدش فيهم يقدر يسحب من ورايا.؟
- لا طبعا هي سايبة.؟ ما حدش يقدر يسحب مليم إلا إنتي بذات نفسيتك لو حتى انطبقت السما ع الأرض.. حد يحط في حسابك ماشى إنما ياخد من حسابك لا ممكن أبدا..
- طب لو أنا احتاجت اسحب مبلغ اسحب بسهولة.؟
- طبعا.. في لمح البصر تروحي تديهم بطاقتك ودفترك وتاخدي اللي إنتي عايزاه وتنك راجعة، ده غير بقا الفوايد اللي هتاخديها على المبلغ يعني راحة وتوفير وده شعارهم هناك (وفر وارتاح)..
- وإنتي ياختي عرفتي الحاجات دي منين.؟

- هو أنا ما قولتلكيش.؟! ده جوز بنتي "وهبه" شغال هناك ودايما يقلى إحنا رسالتنا يا نينة نريح الناس الكبيرة دي وواهبين نفسنا لتيسير أمورهم وكفاية علينا دعواتهم..
- ياختي يريح قلبه وقلبك قولي إنشالله.. خلاص على خيرة الله.. شوفيلنا يوم نروح أنا وإنتي ونحط الباقي من الفلوس هناك..

وبعد يومين ذهبت "توحيده" و"فايزة" إلى مكتب البريد وكان بالصدفة هو نفسه يوم صرف المعاش.. وما أن وصلتا حتى هالهما مشهد الزحام الشديد والناس المسنة المنتظرين على المقاعد وعلى الأرض وعلى الحائط..

خبطت "فايزة" على صدرها قائلة:

- يا حزن الحزن.. إيه ده يا "توحيده".؟!
- اااااه.. أنا ناسية أنك أول شهر تقبضي فيه المعاش هههههه.. ما هو ده يا حبيبتي المنظر اللي هتشوفيه كل يوم خمسة في الشهر ولمدة خمس أيام.. مش المعاش من يوم خمسة ليوم عشرة.؟
- يا وقعة سودة يعني كل شهر آجي اقبض يوم خمسة أروح يوم عشرة.؟

جذبتها "توحيده" من يدها قائلة:

- تعالي بس وأنا هاريحك..

ودخلوا مكتب صغير يجلس فيه أربعة موظفين يتناولون الشطائر ويحتسون الشاي والناس في الخارج تكاد تموت حرا.. وأمام أحدهم وقفت "توحيده" فهب مرحبا:

- أهلا. أهلا. أهلا يا نينه.. البوسطة كلها نورت..

ردت "توحيده":

- أهلنبك يا "وهبه" دي الست "فايزة" اللي كلمتك عنها..
- أهلا وسهلا يا ست "فايزة" أنستي وشرفتي.. تفضلوا. تفضلوا.. تشربوا إيه.؟

"فايزة" وهي مستنكرة برود الموظفين واهملاهم للناس المساكين خارج المكتب:

- يا سيدي مش عايزين نشرب حاجة.. أنا عايزة افهم بس هو المنظر اللي بره ده بيبقى كل شهر.؟!

"وهبه" بضحكة صفراوية:

- هههههههه.. يا ستى وإنتي مالك بالمنظر اللي بره ده خليكى معايا تكسبي.. دول ناس غاويين يعذبوا نفسهم.. إنما حضرتك باين عليكي ست متعلمة وكلك نظر..
- مش فاهمة يعني إيه.؟!
- يعني دول بيجوا وهما مش قادرين يتحركوا ويقفوا بالساعات وهما الروماتيزم واكل جتتهم عشان مستخسرين يدفعولهم أربعين خمسين جنيه كل شهر للي هيقبضهم في بيوتهم ويرجعوا يصوصوا ويقولوا تعبنا..
- يعني أنا ينفع القبض يجيلي البيت.؟!
- طبعا يا ست الكل.. كله هنا ينفع إحنا موجودين لراحة الجماهير زى ما حضرتك شايفة..

ردت "توحيده":

- شايفة ياخويا شايفة..

ورشف "وهبه" رشفة من كوب الشاي وفجأة جحظت عيناه وأمسك برقبته وأخذ يسعل سعالا شديدا مع ارتفاع أصوات غاضبة في الخارج:

- يا عالم ياللي ما تخافوش ربنا.. إحنا ناس كبيرة ما نستحملش الحر والوقفة سايبيننا بنموت وقاعدين في مكاتبكم تطفحوا الشاي.؟ إلهي يحرقك ويشرقك ويبرقك ياللي انت معطل مصالح الناس..

بعدما انتهت الشرقة نظر "وهبه" الي السيدتين بضحكة صفراء قائلا:

- هههههه مش باقولكم كفاية علينا دعوات الناس الطيبة دي.؟ المهم يا ست "فايزة" إحنا دلوقتى هنفتحلك دفتر توفير وبعدين نشوف موضوع المعاش الدليفرى..

تم فتح الدفتر بمنتهى السلاسة.. ونظير السرعة في الأداء تم خصم 150 جنيه من المبلغ كإكرامية للسادة الموظفين.. ووضعت "فايزة" كل ما تبقى معها في الدفتر معتمدة على مبلغ المعاش الذي ستقبضه الأن وحمدت الله على توفيقها إلى هذا الحل المريح.. وقالت للرجل:

- إحنا متشكرين أوى يا أستاذ "وهبه" تعبناك معانا..
- لا شكر على واجب يا ست الكل دي رسالتي في الحياة قضاء حوائج الناس..

- طب أنا باقول بقا تكمل جميلك وتقبضني المعاش بالمرة أحسن أنا حطيت كل اللي معايا في الدفتر وبعد كده بقا تبقى تبعتلى معاشي ع البيت إلهي يسترك ويريح قلبك..

"وهبه" ضاحكا ضحكة غير مريحة:

- هههههه.. وماله يا ست الستات.. بس هو فيه كام نقطة كده لازم نتفق عليها الأول.. أولا: أنا مش لوحدي في البوسطة وكل واحد من الزملاء مختص بحاجة يعني.. أنا مثلا باصرف معاش.. والأستاذ جودة اللي فتح لحضرتك الدفتر دلوقتى مختص بحسابات التوفير.. والأستاذ عدلي اللي بيعض في الساندويتش هناك ده بتاع الحِوالات.. أما بقا الأستاذ حمزة اللي بيبرد ضوافره هناك ده هو المندوب اللي بيقبض في البيت.. وحضرتك طبعا كلك نظر وعارفة إن كله بيصب في مصلحة كله..

"فايزة" متعجبة:

- يعني إيه.؟ مش فاهمة..
- يعني زى ما سيادتك خدتي بالك من الفلوس اللي انخصمت من الدفتر دي كلنا هنتراضى بيها.. نفس الوضع مع موضوع

الدليفري كلنا برضه هنتراضى وحضرتك أول المستفيدين.. فلوسك هتوصلك معززة مكرمة لغاية بيتك بدل البهدلة وقلة القيمة اللي إنتي شايفاها بره دي.. يبقى بالصلاة ع النبي كده كل شهر فيه 100 جنيه لزوم تراضى للزملاء..

نظرت له "فايزة" متعجبة من بجاحته؛ ثم نقلت بصرها إلى "توحيده" التي كانت تنظر في السقف مدعية البله ولم تستبعد "فايزة" أن يكون لـ "توحيده" أيضا نصيب من هذه البدلات.. فقد تكون قبضت رسوم جر زبون.. يعني إشمعنى هي ما تطمعش إذا كان عيالها طمعانين.!

ولكن لم تجد "فايزة" والغيظ يأكلها أمامها حلا سوى الموافقة فهي لا تتخيل إن تقف مثل أولئك المعذبين كل شهر..

هزت رأسها بالموافقة.. وفجأة سمع الجميع هرجا ومرجا بالخارج ودخل المكتب رجلا تبدو عليه إمارات الغضب والتحفز؛ وما أن دخل حتى انتفض الموظفين واقفين في احتراماً وهتفوا متلعثمين:

- حضرة المراقب.! أهلا وسهلا بحضرتك اتفضل..

رد المراقب بغضب:

- لا أهلا ولا سهلا.. هو أنا جاي أتضايف زيكم ولا إيه.؟ إيه الإهمال والتسيب ده.؟ 100 شكوى منكم الناس كلها واقفين بالساعات.. هي دي الرسالة بتاعة المصلحة.؟ إحنا بنريح الناس ولا بنعذبهم.؟ وكويس إني جيت في الوقت المناسب عشان أشوف بنفسي كسلكم وتراخيكم عن أداء العمل..

ثم نظر إلى "فايزة" و"توحيده" وقال:

- ومين الستات دول.؟ وإيه اللي مدخلهم جوا المكتب.؟

انبرت "فايزة" مدافعة وموضحة رغم زغد وقرص "توحيده" فيها وغمز "وهبه" ليها:

- أنا هنا بافتح حساب توفير وباتفق معاهم على توصيل المعاش ديلفري.. أصلى مش حمل الوقفة بره يا سيادة المراقب وأهو هين قرشك ولا تهين نفسك.. في داهية ال 100 جنيه كل شهر واشترى راحتي..

المراقب للموظفين المبلولين:

- الله.. الله.. يعني مهملين ومرتشين كمان ده انتوا سنتكم هباب اتفضلوا خلصوا مصالح الناس اللي بره دي ومتحولين كلكم للنيابة الإدارية..

صاحت "فايزة":

- طب والمعاش يا سيادة المراقب.؟!
- اتفضلي خدي دورك في الطابور بره يا ست.. إحنا ماعندناش في المصلحة خيار وفاقوس..
- لا والنبي ما أقدر.. ده أنا عندي روماتيزم وخشونة والتهاب مفاصل ولمباجو..
- خلاص استني ليوم عشرة في الشهر لما البوسطة تروق..

"فايزة" صارخة:

- أستنى إزاي.؟ ده أنا حطيت كل اللي حيلتي في دفتر التوفير زى ما قالي مخفى الاسم والرسم اللي قدامك ده..

قرصتها "توحيده" في ذراعها وسحبتها للخارج متمتمة:

- مش وقته الناس راحوا ف داهية ومن ضمنهم جوز بنتي.. منك لله إنتي ولسانك الزالف ده.. تعالي نروح وبكرة تبقى تيجى تسحبي من الدفتر..

وفى اليوم التالي ذهبت "فايزة" وحيدة إلى مكتب البريد آمله في سحب مبلغ مما أودعته بالأمس بالدفتر لتدبير أمورها حتى

قبض المعاش.. وجدت نفس طوابير الأمس ونفس معاناة كبار السن ولكنها ذهبت إلى شباك حسابات التوفير فوجدته خاليا وحمدت الله كثيرا على ذلك..

انتبه إليها الموظف الجالس يسقى بسكويت العيد في كوباية شاي بلبن فنظر إليها بغير اهتمام.. بادرته بطلبها:

- لو سمحت عايزة اسحب مبلغ من دفتر التوفير بتاعي..

نظر لها بسخرية قائلا:

- بالبساطة دي.؟
- وإيه المشكلة يعني.؟

الموظف متجاهلا تعليقها:

- بطاقتك يا ست خلصينا..

وتناول البطاقة ناظرا ومتفحصا في وجه "فايزة" ثم لمعت عيناه فجأة وقال في لهجة المفتش كرومبو:

- إنتي عايزة تفهميني إن دي بطاقتك.؟ وأنك إنتي اللي في الصورة دي.؟

"فايزة" متعجبة:

- أمال مين اللي في الصورة.؟ أمي.؟!
- لا بنتك وإنتي الصادقة.. الصورة شكلها صغير عليكي قد 15 سنة..
- يا حضرة أنا عملاها من 7 سنين وما كنتش عيانة زى دلوقتى عشان كده الفرق باين وأنت عارف صور البطاقات كلها عاملة إزاي..
- يا ست الناس بصي كويس الحواجب هنا رفيعة وحواجب حضرتك لا مؤاخذة تخينة..
- يا عم الكل كنت عاملة حواجبي ساعتها.. دي مصيبة إيه دي.؟! خلصني الله يسترك أنا مش قادرة أقف..
- يعني أخلصك وأجيب لنفسي مصيبة.؟! مش كفاية اللي حصل لـ زمايلى امبارح..

تذكرت "فايزة" "وهبه" وسألت الرجل:

- أه صحيح أنا عايزة الأستاذ "وهبه".. هو كان شاهد على فتح الدفتر امبارح وهو اللي متأكد إن أنا صاحبة البطاقة..

- أستاذ "وهبه" بعيد عنك في النيابة الإدارية النهاردة بسبب واحدة لبط ولسانها متبرى منها ودته ف داهية الله يحرقها مطرح ما هي..

"فايزة" بنرفزة:

- ما تحترم نفسك يا جدع انت وخلصني ف ليلتك الطين دي بدل ما أخليك تحصله ع النيابة..

الموظف بدهشة:

- الله الله الله.. هو إنتي اللي عملتيها.؟ طب تعليلي بقا يا حلوة.. مطلوب منك بطاقة رقم قومي جديدة عشان دي باقي لها شهروتنتهي، ومطلوب شهادة من خمسة موظفين إنك على قيد الحياة وإنك صاحبة البطاقة الجديدة، ومطلوب تكون حواجبك مطابقة لحواجب الصورة اللي في البطاقة، ومطلوب أرقام المبالغ اللي حطيتها في الدفتر ورقة. ورقة.. جهزي حاجتك دي كلها وتعليلي بعد أسبوعين تكون الزحمة خفت من البوسطة.. ياللا يا ست الحبايب بقا أحسن الشاي بلبن برد..

همت "فايزة" بالكلام عندما رأت رجلا مسنا مقبلا عليهما بادي التعب واضعا يده على قلبه ويتعثر في خطواته ووقف أمام الشباك وبصوت مرتعش قال:

- يا بني مش هتصرفلى فلوسي من الدفتر بقا.؟ أنا لازم ادخل الإنعاش النهاردة ومحتاج ادفع فلوس للمستشفى الله يخليك هامووت..
- جهزت أوراقك يا والدي.؟! وريني كده.. إيه ده فين شهادة بقاءك على قيد الحياة.؟

وفجأة جحظت عينا الرجل وشهق شهقة واحدة وطلع السر الإلهي ولم يعد محتاجاً لشهادة غير شهادة الوفاة..

قام الموظف من على مكتبه ونظر إلى الفقيد ببرود ثم رفع رأسه إلى الشعار المعلق فوق الحائط قائلا:

- لاحول ولا قوة إلا بالله.. ياللا اهو (وفر وارتاااح)..

-

تمت..

يا سنتر الهنا..

تلك البلوى لن تشعر بها إلا من كانت لديها ابن أو ابنة في الثانوية العامة وحش كل بيت..

وسنة كبيسة تمر بطلوع الروح مخلفة ورائها أعصاب منهكة وجيوب خاوية..

والأولاد غير البنات في هذا الأمر.. فكلنا نعلم أنهم في هذا السن يصعب السيطرة عليهم والتعامل معهم فما بالك بمحاولة إجبارهم على المذاكرة..

بالطبع الدروس الخصوصية هي سيد الموقف ولا غنى عنها مهما حاولت في تلك السنة المصيرية.. وهذا نموذج لأسرة مصرية متوسطة الحال مثلنا جميعا..

الست أم "ميزو" ابنها "ميزو" طالب في الثانوية العامة وهي ووالده يحلمون باجتيازه لها بتفوق وبمجموع يؤهله لإحدى الكليات ذات المستقبل المضمون.. لذلك أعدوا العدة وربطوا الحزام وعملوا ميزانية شهرية للصرف على الدروس الخصوصية.. ونصحهم أولاد الحلال بمراكز الدروس الخصوصية المسماة بـ (السنتر) فهي الأفضل والأوفر وبها عمالقة المدرسين..

ورغم رفض أم "ميزو" لهذه المراكز لكثافة الطلبة بها مما سيقلل من تركيز ابنها إلا أنها قررت التجربة وبذلت مجهود كبير في إقناع "ميزو" بها حيث كان يرفضها لعدم اعتياده عليها حتى فوجئت به في يوم يقول لها:

- ماما.. هاتي فلوس عشان هاروح أحجز الدروس في السنتر
- ربنا يهديك يا ضنايا خلاص أخيرا اقتنعت..
- أيوه يا ماما بس هاخد عربي وإنجليزي مع مدرسين خصوصي..
- ماشى يا حبيبي مش مشكلة.. عايز كام.؟
- شوفيلى كدة 500 جنيه تحت الحساب..
- إيه.؟ 500 إيه.؟ ليه يا بابا رايح تحجز بدلة الفرح.؟
- يا ماما مش 7 مواد.! وبعدين كل سنتر ليه نظامه وأنا ما عرفش أسعارهم كام بس أصحابي قالولي الحجز ما بين 50 ج و70 ج للمادة..
- ده باينه هيبقى مرار طافح..

أعطته المبلغ المطلوب وذهب وعاد بدون مليم..

- هاه يا حبيبي عملت إيه.؟

- خلاص يا ماما حجزت في كذا سنتر وادعيلي بقا..
- ربنا يوفقك يا بني.. طب فين السناتر دي لازم اعرف.؟
- ما هما هيكلموكى يا ماما أنا إديتهم رقم موبايلك..

ومرت الأيام ونسيت أم "ميزو" الموضوع إلى إن تلقت ظهر يوم مكالمة على المحمول.. وأتاها صوت أنثوي ناعم رقيق ذكرها بفتيات الكول سنتر:

- مساء الخير يا فندم.. مع حضرتك سنتر الهنا..
- مساء النور ياختي.. سنتر هنا إيه يا بنتي.؟ أنا بطلت أعمل حواجبي من زمان..
- هههههه حواجب إيه يا مدام.؟ إحنا مش بيوتي سنتر حضرتك.. إحنا سنتر الدروس الخصوصية اللي ابن حضرتك حجز فيه ألماني..
- امممممم.. أهلا وسهلا يا حبيبتي أي خدمة.؟
- إحنا اللي في الخدمة يا فندم أنا حبيت ءأكد مع حضرتك الحجز بس.. وكمان اعرف حضرتك بالعروض اللي عندنا وبنقدمها للمشتركين..
- عروض.؟ عروض إيه يا شابة.؟ انتوا ليكم نشاط تاني غير الدروس.؟

- يا فندم ماهى العروض خاصة بالدروس.. يعني مثلا ابن حضرتك لو أخد عندنا كل المواد بنديله تلت حصص إحصاء قبل الامتحان (فور فري) ومعاهم شيت مكون من تلت ورقات بدبوسين ألوان طبيعية طباعة فاخرة..
- ما شاء الله ما شاء الله.. وما فيش عروض تاني يا حبيبتي.؟
- فيه طبعا.. عندنا عرض عبارة عن تلت مواد أساسية عليهم مادة فرعية هدية، وعندنا كمان (أوفر) حلو جدا لو أخد عندنا ست مواد بياخد معاهم مسطرة بمية وسمك وأستيكة بريحة هدية.. وده باكيدج على بعضه..
- إيه الحلاوة دي.؟ حاجة عظيمة فعلا.. ويا ترى بقا الحصة بكام.؟
- الحصة بخمسين جنيه حضرتك شاملة الكرسي اللي هيقعد عليه والإنارة والميكروفون اللي التيتشر بيتكلم فيه.. ولمزيد من راحة ابنك عندنا حصص بستين وبسبعين جنيه ودول بتبقى شيز لونج بدل الكرسي الخشب ومعاه مشروب ساقع أو سخن حسب الرغبة..

ردت الأم وهي تتميز من الغيظ:

- ما بتعملوش يا حبيبتي عروض على اللبن ولا مسحوق الغسيل.؟

- مش فاهمة حضرتك تقصدي إيه يا فندم.؟
- لا ما قصدش.. خلاص هبقى أقرر وأبلغكم مع السلامة..

أغلقت الخط وهي لا تكاد تصدق أذنيها.. وتمتمت بذهول:

- يا ليلة سودا.. إيه اللي بسمعه ده.؟ دي فكرتني ببتوع التايم شير.. ثم إيه سنتر الهنا ده.؟ ده اسم لمركز تعليمي.؟ عجايب والله..

دقائق ورن هاتفها من جديد:

- الو مساء الخير يا فندم.. مع حضرتك سنتر (لولا)
- (لولا).؟ دي مين (لولا) دي كمان.؟
- سنتر (لولا) يا فندم.. ابن حضرتك حاجز عندنا فلسفة وعلم نفس.. ونصيحة مني يحجز بقية الدروس لأن اللي عندنا مش هيلاقيه بره..
- ليه بقا عندكم إيه زيادة.؟ فيه عروض جامدة يعني.؟
- هههههه.. لا عروض إيه يا فندم.؟ حضرتك إحنا سمعتنا تكفينا واسم (لولا) عرض لوحده.. يكفي شعارنا يحسسك بالأمان ولاطمئنان على ابنك..
- وشعاركم إيه بقا.؟

- معقولة يا فندم ده شعارنا مشهور جدا.. (لف براحتك زوغ صيع.. واحنا ضامنين المجاميع)..
- يا ماشا الله يا ألف راية بيضا.. بقا ده الشعار يا ست (لولا).؟ يعني تشجعوا العيال على التزويغ والصياعة.؟
- يا فندم أولا أنا مش (لولا) أنا السكرتيرة.. ثانيا ده شعار رمزي كناية عن إن الطالب مهما عمل بإذن الله معانا من الأوائل..
- امممممم.. طب يا ضنايا هبقى أشوف وأقولك..

أغلقت الخط وصاحت منادية ابنها:

- واد يا "ميزو".. انت يا هباب الحلل يا أخرة صبري..
- إيه يا ماما.. فيه إيه.؟
- إيه يا واد السناتر إلى انت حاجز فيها دي.؟ بقا دي أماكن للتعليم.؟ واحدة تقللي عروض ومشروب وشيزلونج.. والتانية شعارها لف وصيع.؟ عرفتهم من أنهي داهية السناتر دي.؟
- يا ماما دي سناتر ممتازة وكل أصحابي اللي معايا بيشكروا فيها..
- وإيه اللي عرفهم أنها ممتازة يا فالح..
- ما هما كانوا بياخدوا فيها السنة اللي فاتت..

خبطت الأم على صدرها وصرخت:

- يا ندامتي.. يعني عايدين السنة يا ولا.؟
- ما هو.. ما هو.. ما هو...
- إنشاالله يمهمهوك يا بعيد.. هو ده السنتر الممتاز.؟ طبعا ما هو من حلاوته ما هانش عليهم يسيبوه.. اسمع يا مزغود.. إنت تروح تسحب الفلوس اللي دفعتها دي وتشوف سنتر تاني..

"ميزو" بغضب:

- يووووه يا ماما بقا.. ده سنتر الهنا كان هيدينى مسطرة بسمكة ومية..
- خد ياخويا اتنين جنيه هاتلك واحدة واطلع من دماغي..
- طب خلاص هاسيب سنتر الهنا بس خليني ف سنتر (لولا) والنبي. والنبي..
- سنتر (لولا) بتاع لف وصيع.؟ أبدا على جثتي..
- هو إيه ده بقا.؟ هو تحكم وخلاص.؟ ده سنتر ممتاز وكل أصحابي بيقوللى إن السكرتيرة جام.... قصدي المستر اللي هناك جامد جداً..
- هي كلمة واحدة.. روح اسحب الفلوس منهم وهنشوف سنتر محترم تاخد فيه كل المواد..

تركها "ميزو" وهو يخبط في الأرض ويبرطم وعاد متأخرا يجر أذيال الخيبة فسألته أمه:

- عملت إيه يا فالح.؟ جبت الفلوس.؟
- ما هو.. ما هو.. ما هو...
- انت هترجع تمهمه تاني.؟ فين يا واد الفلوس.؟
- ما رضيوش يرجعوها وقالولى انت اللي سايب..
- انت اللي سايب.؟ هو انت طلبت منهم الشبكة والدباديب.؟ يا ولاد ال....

"ميزو" بفخر: لا بس أنا ما سكتتش.. وهللت وزعقت وما مشيتش غير لما أخدت المسطرة أم سمك ومية..

- لا فالح من يومك.. اسم النبي حارسك وصاينك.. اعمل إيه فيك دلوقتى.؟ 500 جنيه يضيعوا ع الأرض حرام ولا حلال ده يا عالم.؟
- خلاص يا ماما ما تزعليش.. أنا سمعت عن سنتر جديد خالص بيعلنوا عنه وفيه مدرسين مشهورين أوى بس هو بعيد شوية..
- ده فين ده.؟ واسمه إيه.؟

- هو قريب هنا واسمه سنتر المجد..
- امممممم.. طب كويس على الأقل اسمه محترم شوية.. على الله يكون عليه الطلا..
- أيوه يا ماما.. ده بيقولوا كويس أوى وكمان بيدي امتحانات وبيفتش ع الواجب كل يوم..
- طب يا بني ده ممتاز كده مش أبو شعار منيل على عينه
- ما هو ده يا ماما ليه شعار برضه بس محترم..
- يا شيييييخ.؟ وشعاره إيه بقا.؟
- شعاره (مهما تلف ومهما تدور.. غير سنترنا ما فيش سنتور)..
- سنتور.؟ لاحول ولا قوة إلا بالله.. لله الأمر من قبل ومن بعد.. خد يا بني الفلوس وروح احجز فيه كل المواد وخلصنا..

أخذ "ميزو" 500 جنيه أخرى وذهب للحجز؛ وبعد أسبوع بدأ ينتظم في الدروس.. ولبعد السنتر عن المنزل أصبح هناك ميزانية أخرى للمواصلات اليومية وكل الميزانية اللي وضعتها أم "ميزو" وأبو "ميزو" لم يعد لها داعي.. وظلت المصروفات تزيد يوما عن يوم ولم يخرج شيء من تحت يد السنتر..

"ميزو": ماما.. ماما..

- امممممم.. خيير.؟
- عايز 250 جنيه أجيب كتاب الألماني وكتاب التاريخ وكتاب
- الجغرافيا..
- 250 جنيه لييييه.؟ أبوك لما يقبض ينزل يجيبهوملك من الفجالة.. هات أساميهم وخش ذاكر..
- فجالة إيه يا ماما.. المدرسين عايزين الفلوس عشان يجيبولنا الكتب هما..
- المدرسين هما اللي نازلين الفجالة.؟

"ميزو" بزهق:

- يووووووه.. هتقوللى برضه فجالة.. يا ماما هما اللي بيألفوا الكتب ويطبعوها ويوزعوها..
- كل ده بيعملوه.؟ أمال الملازم اللي بيدوهالك دي إيه.؟
- لا دي السنتر اللي عاملها وبيبيعهالنا..
- ماشى يا بني الأمر لله.. خد 300 جنيه هات الكتب والملازم وهات الباقي..

وبعدما رجع "ميزو"..

- ماما.. اتفضلي.
- إيه ده.؟ قلم كحل.؟ حبيب قلبي يا بني شاله يخليك.. والنبي كان ناقصني طب ليه يا حبيبي تكلف نفسك كدة.. ياللا هدية مقبولة..
- هدية إيه يا ماما.؟ ده الباقي..
- باقي إيه يا نن عين ماما.؟
- باقي ال 300 جنيه. الكتب ب 250 وملازم ب 35 وقلمي طفح جبت غيره من مكتبة السنتر ب 5 جنيه وأتبقى عشرة جنيه وما كانش فيه فكة ادونى ده وقالولى خد ده لماما هتفرح أوي..

وفعلا فرحت أم "ميزو" جدا لدرجة إن دموع الفرح نزلت من عينيها وأفسدت الكحل الذي وضعته بالباقي.. كل هذا كان قبل بداية الدراسة بشهر.. أما اللغة الإنجليزية واللغة العربية المأخوذين مع مدرسين خصوصيين بمبلغ وقدره لم يكونا أفضل حالا..

"ميزو": ماما هاتي 50 جنيه عشان عندي حصة إنجليزي..

- انت يا واد مش خدت 50 جنيه لحصة الإنجليزي امبارح.؟
- يا ماما دي حصة إكسترا المس عاملاها عشان متأخرين في المنهج..
- متأخرين إيه يا بني دي الدراسة لسه ما بدأتش..
- وأنا مالي بقا الله.؟

وبعد يومين:

- ماما هاتي 50 جنيه عشان عندي حصة إنجليزي..
- هو فيه إيه يا بني هو انت ما بتاخدش غير إنجليزي.؟ ده إنت لو هتشتغل مترجم ماكنتش خدت ده كله..
- يا ماما أصل المس إدتنا الحصة اللي فاتت كلمات نحفظها والحصة دي عشان تسمعهالنا..

وهكذا يا سادة إلى إن بدأت الدراسة فعليا كانت أم "ميزو" أنفقت الجمعية أم 10 آلاف جنيه وباعت شبكتها وحلق ابنتها وفى النهاية وقعت من طولها مصابة بهبوط حاد في الدورة الدموية عندما دخل عليها "ميزو" ذات يوم متأففا وقال بضيق:

- ماما أنا عايز أغير السناتر دي.. أنا مش فاهم حاجة والكتب اللي إدوهالنا صعبة.. أنا أصحابي قالولي على سنتر حلو أوى اسمه سنتر السعادة وشعاره..

(تدخل هنا فاشل جربوع.. تطلع ومعاك المجموع)..

-

تمت..

الدكتور خلف..

ليلة من ليالي الصيف الحارة والتي يصعب فيها النوم.. كنت نائمة في غرفتي؛ وما أدراكم ما غرفتي يا حضرات..

شيء أشبه بغرف الساونا أو دماسة الفول..

إذا دخلت بها حاملا كيسا من الذرة فلن تمر دقائق حتى تسمع فرقعة الذرة لتجده وقد أصبح فشار..

تسألونني عن التكييف.؟

إجابتي إنني قررت تحويله الى عشة ظريفة لتربية الحمام بعد أن دفعت فاتورة الكهربا والتي اقتربت من الألف جنيه الشهر الماضي..

الساعة الأن تقترب من الثانية صباحا؛ وأخيرا أغشي علينا أنا وزوجي من شدة الحر وذهبنا في نوم ليس بالعميق..

أفقت أنا أولا قرب الثامنة صباحا وجلست في الفراش وبدأت أهدهد أبو العيال لإيقاظه:

- "خالد".. "خالد".. قوم يا راجل الساعة بقت تمانية هنتأخر ع الشغل..
- يووووووه.. سيبيني نايم أكمل الحلم الجميل ده..

أخذت أحدث نفسي بذعر وأنا أتخيل خيانته التي كشفها الله لي من تلك الجملة العفوية:

- حلم جميل.؟! يالهوي ياما.. يبقى بيحلم بواحدة ست.. يبقى يعرف حد عليا وهيسيبني ويتجوزها.. طب والعيال.؟ يا مراري الطافح البت هتسرح في الإشارات؛ والواد هينشل في الأوتوبيسات.. طب وأنا وفضيحتي في الشغل.! ده أنا وهو في شغل واحد يعني الولية "إحسان" دي ما هتصدق تشمت فيا؛ وأبقى لبانة في بوء اللي يسوى واللي ما يسواش.. طب والشقة من حق مين.؟ وقسط الميكروويف ها تدبس فيه لوحدي.؟ لاااء.. والنبي ما يكون أبداً..

وبكل ما أتيت من قوة وغيظ قرصته قرصة قفز على أثرها كمن لدغته حية وجلس مكانه وهو يصيح بألم:

- إيه.؟ في إيه يا ولية.؟ حد يصحي جوزه بالطريقة دي.؟
- احمد ربنا إني قرصتك بس.. بتحلم بمين يا راجل يا خاين العيش والملح يابو قلب زى الخرشوفة.؟ هان عليك ولادك تجيب لهم مرات أب وانا عايشة.؟ إهىء. إهىء. إهىء..

- ياااااادى الصباح اللي باين.. مرات أب إيه يا ولية هو أنا أقدر اجبلهم سفن أب لما أجيب مرات أب.؟ جيبتي الكلام الفارغ ده منين.؟
- يا سلام ياخويا.؟ أمال حلم جميل إيه اللي عايزنى أسيبك تكمله.؟

أجابني بنظرة حالمة وهو يهبط من الفراش:

- أما حتة حلم.. ياسلاااام.. حلمت خير اللهم اجعله خير إن إحنا بنصيف في مارينا.. وقال إيه قاعدين ومدلدلين رجلينا في المية إيه ده.؟ إيه ده.؟ بسم الله الرحمن الرحيم هو أنا لسة ما صحيتش ولا إيه.؟ إيه اللي جاب القلعة جنب البحر.؟ إيه اللي جاب القلعة جنب البحر.؟
- بسم الله الرحمن الرحيم.. مالك يا راجل.؟ فيه إيه ما تجمد كدة.. هي ليلة في أوضتنا الحر تعمل فيك كدة.؟ ما هو يكون في معلومك تعمل مجنون تعمل مجذوب مش هنفتح التكييف ده تانى..
- تكييف إيه يا ولية.. انزلى شوفي إيه المية اللي مغرقة الدنيا دي.؟!

نزلت وما أن لمست قدماي الأرض حتى غاصت في السجادة المتشبعة بالمياه..

- يا نهار مدوحس.. إيه المية دي يا "خالد".؟
- بتسأليني ياختي.. تعالى نشوف ناسية إيه مفتوح طول الليل غرق الدنيا كدة..

هرولنا معا الى دورة المياه ففوجئنا بالمحبس الرئيسي للشقة مكسور؛ والمياه مندفعة على هيئة نافورة والشقة عائمة ولا أجدع شقة في فينيسيا..

خبطت بيدي على صدري وصرخت به:

- حلمت بمارينا يا أخويا.؟ أهي جات لك لحد عندك.. هنعمل إيه دلوقتى.؟

رد عليّ وهو يحاول بيأس السيطرة على المحبس بلفه بالمنشفة:

- هنعمل إيه يعني.؟ هنجيب سباك طبعا..

لم أكذب خبراً وهرعت للاتصال بمدام "سلوى" زميلتي بالعمل وتعتبر قاموسا ودليلا متنقلا لكافة أنواع الأعطال ودلتني "سلوى" على بروفيسور في السباكة - على حد وصفها - وأخدت رقم تليفونه واتصلت به فورا:

- ألو.. أسطى "خلف" معايا.؟

أجابني صوت رجل مستنكرا وكأنني سببته:

- دكتور "خلف" سبيكينج.. مين حضرتك.؟

رددت معتذرة بانه يبدو أني أخطأت في طلب الرقم:

- آسفة والله يظهر النمرة غلط..
- النمرة مش غلط ولا حاجة يا مدام.. أنا "خلف" معاكي بس أنا مش أسطى وما أحبش اللقب ده..
- اااااه.. طب معلش يااا دكتور "خلف".. أنا صحيت لقيت الدنيا عايمة عندي ومحتاجة حضرتك حالا..
- امممممم.. كدة يبقى الكشف مستعجل؛ وفى الحالة دي الفيزيتا هتبقى الدوبل..

رفعت السماعة عن أذني ونظرت لها باستغراب وسألته مرة أخرى:

- مين معايا.؟ أنا عايزة الأسطى "خلف" السباك..

رد بعصبية واشمئناط:

- إيه يا مدام.؟ قولتلك أنا "خلف" السباك معاكي ومش باحب كلمة أسطى دي.. واديني العنوان بسرعة أنا

أجندتي النهاردة مشحونة وزى ما قولتلك كدة الكشف هيبقى مستعجل..

أعطيته العنوان ووضعت سماعة الهاتف وأنا أضرب كفاً بكف..

مرت نصف ساعة واتصلت بي "أم محمد" البوابة متسائلة بلهجة قلقة لا تخلو من شماتة:

- خيريا مدام.؟ هو سي الأستاذ "خالد" عمل حاجة ولا إيه.؟ ده فيه واحد شكله كدة بيه من المحافظة ولا الداخلية بيسأل عن شقتكم.. اطلعه ولا أعطله لغاية ما تخبى سي الأستاذ.؟

نهرتها بعنف قائلة:

- -إنتى بتقولي إيه يا "أم محمد".؟ إنتى اتجننتى ولا إيه.؟ طلعيه لما نشوفه عايز إيه.؟

رن الجرس وفتحت لأجدها وبصحبتها باشا من السفارة على ما يبدو أخطأ في العنوان؛ ولكنه عاجلني بالسؤال الذي أفزعني:

- مش دي شقة الأستاذ "خالد".؟

أجبته في رهبة وتوجس:

- أيوه يا فندم.؟ هي بعينها خير أن شاء الله.؟

رد بكل إباء وشمم:

- أنا "خلف"..

هتفت بدهشة:

- السباك.؟
- أيوه..
- ينيلك.. وعامل في نفسك كدة ليه.؟

"خلف" بقرف:

- أفندم.. حضرتك بتكلميني.؟
- لا أبدا أنا بكلم ابن البواب اتفضل.. ادخل.. يا "خالد".. يا "خالد".. تعال.. الدكتور "خلف" وصل..

اصطحبت دكتور "خلف" إلى الحمام الذي أصر أن أنظفه بالديتول الأصلي أولا.. وخلع البليزر السينييه الذي يرتديه وعلقه على شماعة الباب؛ وارتدى جوانتي من البلاستيك يبدو أنه معقم؛ وقفاز طبي وسماعة طبية (أه والنبي زمبؤللكم كدة) وانا وزوجي واقفين نحملق به في ذهول كأننا نشاهد مخلوقا نادرا في قناة ناشيونال جيوجرافيك..

وضع "خلف" السماعة على المواسير محاولا تحديد مكان التسريب - على حد شرحه لنا - وظهرت علامات الخطورة على وجهه وهو يفحص القلب بداخل المحبس؛ ثم خلع السماعة والنضارة ونظر لنا بإشفاق شديد وتنهد تنهيدة أوقعت قلبي في قدمي ووجدتني اسأله بقلق:

- أرجوك.. ما تخبيش عليا يا دكتور.. فيه أمل.؟

رد بعنجهية:

- مع "خلف" ما تقلقيش يا مدام.. بس ما أخبيش عليكم القلب بتاع المحبس حالته تعبانة جدا ولازم له زرع قلب.. يعني عملية قلب مفتوح؛ وده هيكلفكم كتير.. الموضوع هيدخل بالكشف بالقلب بأجرة إيدي حوالي 500 جنيه..

صرخت فيه:

- إيه.. 500 إيه.؟ انت هتعمللى فيها مجدي يعقوب.؟ زرع قلب إيه؛ وقلب مفتوح إيه.؟ طب ده أنا اتصل ببرنامج صبايا الخير والست "ريهام سعيد" تعملهالى ببلاش على نفقة الدولة.. ما تقول كلام معقول يا أسطى "خلف"..

- قولت لحضرتك اسمي دكتور "خلف".. والله ده اللي عندي.. أنا بأركب حاجات أصلية وباديكى ضمان.. يعني حاجة تعيش العمر كله ولو مش عاجبك حضراتكم أخد 100 جنيه الكشف المستعجل واتكل على الله..

نظرت لزوجي فوجدت ملامح الشر تتشكل على وجهه؛ وأذناه تلعبان بسرعة؛ وتلك هي علامات التخطيط لارتكاب جناية كما تعودتها منه..

جذبته للخارج محاولة السيطرة على الحالة في بدايتها فسألني وهو يصر على أسنانه:

- هاه.. هنعمل إيه في النصاب اللي جوا ده.؟ أنا بفكر ادفنه مطرحه وأخلص الناس من أمثاله..

أجبته مهدئة: اهدي بس كده وصلى ع النبي.. أمرنا لله أهو جه وخلاص وكده كدة هيتنيل يلهف 100 جنيه كشف.. والدنيا عايمة زى ما انت شايف.. لله الأمر من قبل ومن بعد..

أشرت لخلف بالموافقة فطردنا من غرفة العمليات.. أقصد دورة المياه قائلا:

- اتفضلوا انتظروا برة..

ثم بدأ في العملية التي لم تستغرق اكتر من ربع ساعة؛ ولهف ال 500 جنيه وارتدى البليزر السينييه - الذي كنت أتمنى من قلبي أن ينساه على الشماعة - وخرج بمنتهى السؤدد والكبرياء وتركنا ودموعنا تسيل على خدودنا..

ثم بدأت مفاوضات من نوع آخر مع "أم محمد" البوابة كي تصعد لإزالة آثار العدوان؛ وغسيل السجاد..

وتكلفت تلك العملية بدورها 300 جنيه أخرى؛ والحمدالله الذي لا يحمد على مكروه سواه..

وجلست أجتر أحزاني وأنا أنظر لزوجي بغيظ قائلة:

- الحلم اتحقق يا شيخ "خالد" يا ريتك ياخويا حلمت إنك إتجوزت عليا كان يبقى أوفر من الغرامة دي..

-

تمت..

ستّ الحبايب يا حبيبة..

منذ أكتر من أسبوع واستعدادات أولادي لعيد الأم على قدم وساق؛ وخصوصا ابنتي حبيبتي.. وأنا أدعي البله وأتصنع عدم الاهتمام (لا أرى.. لا أسمع.. لا أتكلم) رغم فضولي القاتل لمعرفة الهدايا المنتظرة..

كانت الأيام تمر ويوميا تقريبا زيارات مريبة من صديقاتها.. جرس الباب لا يكف عن الرنين وأجدها تسرع كي تفتحه قبلي وتدخل الفتيات حاملات الحقائب المزخرفة ويتسللن الى غرفتها مغلقات الباب؛ ولا يلبثن بعد دقائق أن يغادرن بأيدٍ خاوية مصطحبات ابنتي الى الدرس..

وما أن يغلقن الباب خلفهن حتى أجرى الى مغارة على بابا كي استكشف الهدايا المخبأة بها.. كنت أتقافز من الفرحة وأنا أرى الكثير من الكؤوس والفازات والعطور وغيرها من الأشياء التي تسعد الأمهات.. بالطبع كنت أعلم أن الكثير منها لا يخصني لذلك أردت استدراجها في الحديث يوما كي أعرف رأسي من قدمي وكان هذا الحوار:

- هو إيه يا حبيبتي الحاجات اللي أصحابك بيجيبوها هنا دي؟

ردت بتردد:

- حاجات؟ حاجات إيه يا ماما؟

غمزت بعيني وانا بضحك:

- ايييه؟ إنتى هتخبى على ماما.؟
- أبدا يا ماما وحياتك.. بس أصل دي حاجات تخصهم هما وشايلينها عندي عشان مامتهم ماتشوفهاش..

وبالطبع خمنت إنها هدايا لأمهاتهن وتساءلت ماذا تخبئ لي تلك القرضة يا ترى؟!

ولم تتأخر الإجابة كثيرا إذ سألتني يوما:

- قوليلى يا ماما؟

رددت باستظراف:

- يا ماما... خخخخخخخ

نظرت لي نظرة معناها إيه الخفة دي؟ ثم أكملت:

- لا بجد يا ماما قوليلى بما إنك أم وكده يعني تحبي يجيلك إيه في عيد الأم؟

كتمت فرحتي في قلبي واستدعيت روح المرحومة عزيزة حلمي وحاولت جعل صوتي متأثر متهدجا وانا أجيب:

- صدقيني يا أمال.. قصدي يا نور الأم يرضيها ولو وردة بلاستيك.. المهم أشوفكم في أحسن حال ومتفوقين وفرحا...

لم أكمل الخطبة إذ قاطعتني قائلة بملل:

- مفهوم. مفهوم.. كل ده أنا عارفاه أنا بتكلم بصفة عامة يعني الستات بيحبوا يجيلهم إيه؟ بما إنك ست يعني..

تريثت قليلا وأخذت اجمع في عقلي بسرعة كل الأشياء التي أحتاجها ثم أجبت:

- بصي يا ستى.. الستات بيحبوا البارفانات والكريمات والشنط والشوزات الطبيعي وكمان ال...

قاطعتني هاتفة:

- حيلك. حيلك يا ماما إحنا لسه في إعدادي مش في السلك الدبلوماسي..

شعرت إنني بالغت قليلا فقلت مستدركة:

- أنا باقول بصفة عامة الستات بتحب إيه إنما إنتى عارفة أنا يكفيني....
- عارفة. عارفة وردة بلاستيك..

- بالظبط كده
- طب لو حاجة منزلية يا ماما.! يا ترى إيه المناسب كهدية في عيد الأم؟
- راجعت بسرعة الصاروخ في رأسي جميع الأطباق الأكروبال والأكواب التي فقدت أو تهشمت عندي وأجبت بسرعة:
- والله عندك مثلا أطقم الأكروبال أو البيركس على قدكم.. وممكن كمان أطقم الكوبيات النضيفة مش إزاز ياسين اللي كره الأمهات في عيدهم ده..
- خلاص. خلاص يا ماما.. عرفت شكرا..
- دخلت الى غرفتي شاعرة بالراحة والسكينة فهي الأن على علم بكل احتياجاتي والله الموفق والمستعان..

في اليوم التالي عادت من المدرسة تبرز من حقيبتها لفافة لامعة.. حدثت نفسي سعيدة:

- حبيبتي يا بنتي.. والنبي بنت حلال.. مخبياها يا ضنايا عشان تفاجئيني بيها.. يا ترى جايبالى إيه يا نن عين ماما؟ ياللا هانت وكل شيء هيبان..

مرت الأيام على هذا الحال ولم يخل الأمر من بعض القروض الحسنة؛ إذ كانت يوميا تقترب منى وتهمس في خجل:

- ماما مالقاش معاكي 20 جنيه؟ ماما مالقاش معاكي 30 جنيه؟

وأنا أعطيها عن طيب خاطر ولسان حالي يقول: "غلبانة هتجيب منين للحاجات دي كلها؟ ياللا اهو كله راجعلي"..

أما عن أبني البكري حبيب القلب فالأمر يختلف قليلا.. فهو والحق يقال كان ولايزال وقورا هادئا لا يظهر ما بداخله أبداً ويبدو أنه يخبئ لي مفاجأة كبيرة.. فهو منذ أيام يحوم حولي كالفراشة يسمعني أحلي الكلمات:

- ربنا يخليكي لينا يا ست الكل.. ما اتحرمش منك يا ست الحبايب..

ورغم انه عقب كل مرة يطلب عشرين جنيها ولكنني كنت أواسي نفسي قائلة: "غلبان ماحيلتهوش غير مصروفه أكيد بيحوش يا كبد امه عشان يفاجئني بحاجة كبيرة"..

الى أن دخل علي يوما وفى يده بعض ورقات تيست لأنواع فاخرة من العطور؟ وقال بكل حنان:

- ماما شمي كده واختاري واحدة على ذوقك عشان دي تركيب بس ماركات عالمية..

فرحت جدا لأنني اعشق العطور الفاخرة.. وبالفعل أخذت أتشمم الورقات بتركيز لمدة ساعة وانا متحيرة أيها أختار.. وأخيرا تخيرت واحدة وناولتها له قائلة بخجل مصطنع:

- بس دي شكلها غالى أوى يا حبيبي..
- إنتى علمتينا يا ماما أن إحنا لازم نهادى بقيمتنا.. مش كده والا إيه.؟

حضنته في مشهد مؤثر ذكرني ببرنامج طارق علام زمان وتخيلت الخلفية الموسيقية أغنية (الست دي أمي) ولمعت الدموع في عيني وانا أقول:

- أيوه يا حبيبي بس انت عارف أمك يرضيها ولو حتى..
- عارف. عارف يا ماما.. وردة بلاستيك.. وأمسك بيدي مقبلا إياها في حنان وهو يهمس: طول عمرك مضحية يا ست الحبايب مالقاش معاكي 50 جنيه سلف لغاية ما أحد مصروف الأسبوع.؟
- مصروف الأسبوع اللي انت وأخده امبارح.؟ وماله يا حبيبي خد يا بابا..

ومرت الأيام وأنا أمنى نفسي بالسعادة التي تنتظرني يوم عيد الأم.. يوم التقدير ورد الجميل.. يا سلاااااام.. شيء جميل عندما تجد أولادك يخططون ويدبرون لإسعادك.. فعلا عرفت أربى..

وأخيرا جاء اليوم الموعود وعدت من عملي مهرولة وانا أتدرب طوال الطريق على رسم ملامح الاستعباط عندما أدخل وأفاجأ بهم.. ثم ملامح التأثر على وجهي عندما يفاجئاني بكل الهدايا التي جهزاها لي..

وبالطبع عزمت على عدم الإفصاح لزميلاتي عن تلكم اللحظات حتى لا أصاب بالحسد.. فمعظمهم موكوسات مكبوسات لم يحضر لهن أبنائهن ولا حتى وردة بلاستيك.. كنت في نفسي أتصعب عليهن قائلة:

- مساكين والنبي صعبانين عليا.. بس برضه هما غلطانين كان لازم يربوهم من الأول على الذوق زى أولادي كده.. ياللا أنا مالي بقا كل من ليه نبى يصلى عليه..

دخلت الشقة على أطراف أصابعي كانت مظلمة وصامتة تماما..

- هههههههه أه يا عفاريت.. عارفة أنا حركات أفلام الأبيض واسود دي..

تسللت الى مخزن السلع المعمرة في غرفة ابنتي فوجدته خاوياً على عروشه.. بالتأكيد كل بنت أخذت هدايا أمها ومشيت..

- الله أمال أم هداياي أنا فين.؟ أه أكيد في أوضتي..

أسرعت الى غرفتي لأجدها قابعة على طاولة الزينة..

نعم الهدية.. أتدرون ما هي.؟

وردة بلاستيكية حمراء..

صدمني شكلها حتى كادت الدموع أن تطفر من عيني وكان بجوارها كارتاً في حجم الفتفوتة توصف فيه المزغودة مشاعرها وإحساسها بأمها التي شقيت معها طوال سنوات عمرها ال أربعة عشر.. وملحوظة صغيرة إنها ذهبت للدرس لكنها لم ترد تأخير الهدية حتى تعود..

حاولت مواساة نفسي تجنبا لدخولي في صدمة عصبية:

- يا ربتك أخرتيها يااختاااااااى.. لا بس بلاش استعجال أكيد دي حاجة كده جر ريق إنما الهدايا التانية لما تيجى من الدرس.. أه طبعا ده أنا شايفة الهدايا بعيني يا ناس..

وعدى النهار والمغربية جاية تتخفى ورا ضهر الشجر.. وعادت كتاكيتي من دروسهم؛ ودخلت ابنتي أولا ومالت على يدي تقبلها قائلة بكل فخر واعتزاز:

- كل سنة وانتى طيبة يا ست الكل أما كان حتة يوم يا ماما..
- امممممم.. كل سنة وانتى طيبة يا حبيبتي أنا مغمضة عيني اهو..
- ليه يا ماما سلامتك مال عينك.؟
- مال عيني إيه؟ فين يا بت هدية عيد الأم.؟
- إيه ده.؟ إنتى مادخلتيش أوضتك والا إيه.؟ الهدية ع التسريحة يا ست الحبايب..
- ما فيش ع التسريحة غير أم الوردة البلاستيك يا نن عين ست الحبايب..
- بس إيه رأيك.؟ جميلة صح.؟
- جميلة إيه يا دزمة يا بنت الدزمة.. فين يا بت البضاعة اللي كنتي مخزناها إنتى والمخفيين أصحابك.؟
- بضاعة إيه.؟ اااااه قصدك هدايا المدرسات.؟ ما أنا كنت لسه هاحكيلك.. ده كان حتة يوم مش قادرة أوصفلك فرحتهم بالهدايا.. أهو أنا كده بقا ضمنت درجات أعمال السنة كلها.. كل سنة وانتى طيبة يا ست الحبايب..

وتركتني ودخلت غرفتها؛ وبدأت أشعر ببوادر جلطة ولكن دائما يخلق في قضاه رحمة ويقطع من هنا ويوصل من هنا..

فها هو حبيب امه يقترب منى مخبئا شيئا ما وراء ظهره فهتفت به في لوعة:

- حبيبي يا بني.. تعالى ف حضن أمك عوضها عن صدمتها في بنتها..
- كل سنة وانتى أحلي أم يا ست الكل.. اتفضلي يا ست الحبايب..

يا ليلة سودا مش طالعلها قمر ولا شمس.! هي بغباوتها أم الوردة البلاستيك.. بس الشهادة لله دي أكبر شوية وشبه اللي كانت بتتلطع ع الشبشب البلاستيك زمان.. اااااااه يا خيبة أملي في عيااااالى.. اااااه يا خسارة فلوسي اللي جروها منى النصابين.. والنبي لأكون مودياهم في داهية..

- خد يااااض..
- فيه إيه يا ماما مالك؟
- مالي؟ مالي ما اهو راح يا روح الروح.. أنا عايزة أفهم حاجة واحدة بس بدل ما أولعلكم في نفسي دلوقتى.. أم الورق

اللي قعدت ساعة أشمشم فيه فشر الكلب البوليسي ده.. كنت بتشممهولى ليه يا فضلة الكبة.؟

- اااااه.. نسيت أقولك يا ماما أما البت عجبها ذوقك بشكل..
- بت؟ بت مين يااض.؟
- البت شوشو اللي حكيتلك عنها مرة زمان..
- يا نهارك قطران.. لا هو انت كنت بتشممنى عشان أختارلك هدية للبت شوشو.؟ يااختاااااااى.. والنبي لا أنا سيبالكم البيت ولا هتعرفولي طريق جرة يا عرة العيال يا كاسفنني وكاسرين بخاطري.. إهىء. إهىء. إهىء..

وأغلقت على نفسي غرفتي أجتر أحزاني وحيدة وجاءني صوت المزاغيد مبرطمين خارج الغرفة:

- هي مالها جرالها إيه.؟ صحيح على رأى البت روان.. الأمهات دول مايعجبهمش العجب ولا الصيام في رجب.. مش هي اللي قالتلنا إنها راضية بوردة بلاستيك..
- أنا عارف.؟ هي كده على طول كبسانا وأنا كنت اعمل إيه يعني ما أنا بعد ما جبت هدية البت شوشو مافضلش معايا غير 10 جنيه اعملها بيهم إيه يعني؟ اطلعها عمرة؟

ده إيه ياخويا ده صحيح على رأى الواد شادي.. قلبي على أمي اتفطر جوايا وأمي هتموت على شوية هدايا..

-

≫ ...تمت بحمد الله... ≪

الفهرس

فقع مرارة..... خطأ! الإشارة المرجعية غير معرّفة.

صاحب الإدارة بواب العمارة..... 18

تأمين صحي..... 36

دنيا الميكروباص..... 53

جارتي السلفنجية..... 64

مدرس خصوصي..... 78

سَحْل مدني..... 91

خبيرة أُسرية..... 106

معاش مبكر..... 124

"ميادة" الكيادة..... 142

وفر.. وارتاااح..... 159

يا سنتر الهنا..... 180

الدكتور خلف..... 194

ست الحبايب يا حبيبة..... 205